التقدمي

نشرة شهرية يصدرها المنبر التقدمي - مملكة البحرين SDPA 499 العدد 194 السنة 22 - يناير 2024

صمود غزّة بدّد أوهام العدو

موقفنا

تكتّم على الخسائر الصهيونية في غزّة

رغم إقرار قادة الكيان الصهيوني بالخسائر الفادحة التي مُنيت وتُمنى بها قواتهم في العدوان على غزّة، وحديثهم عن «الثمن الباهظ» الذي يتعين دفعه للقضاء على المقاومة هناك، فإن هذه التصريحات تبقى عند حدود العموميات، ولا تقدّم تفاصيل شاملة لحجم تلك الخسائر، مكتفين بذكر بعض الأرقام عن قتلاهم وجرحاهم، وهي أرقام موضع تشكيك كبير لا من قبل المقاومة الفلسطينية وحدها، وإنما من المراقبين المحايدين، الذين يشيرون إلى أن حجم خسائر العدو في غزّة أكبر بكثير من تلك التي يعترف بها قادته، رغم أن حجم ما أبلغ عنه العدو من أرقام ليست قليلة أيضاً، إذ يقر بمقتل نحو خمسمائة جندي، وإصابة نحو 2000 جندي، حالة العشرات منهم خطيرة.

أبلغ الأمثلة على ذلك اضطرار العدو للإعلان عن سحب أهم ألويته المشاركة في العدوان، والمعروف باسم "لواء غولاني"، والذي يطلق عليه "لواء النخبة"، بعد 60 يوماً من قيادته المعارك البرية بغزّة، حيث تقدّم القوات الغازية في عدة محاور، أهمّها حي الشجاعية ومخيم خان يونس، بسبب حجم الخسائر الكبير الذي تعرض له، وتاكيدات المقاومة، أكثر من مرة، كسرها شوكة اللواء الذي يعود تاريخ تأسيسه إلى ما قبل قيام دولة العدو، فهو أقدم لواء في جيش الاحتلال، وتقلّد عدد من قادته مناصب عليا سواء في قيادة أركان الجيش أو في الحكومة، وتاريخياً تعدّ عصابات "الهاغانا" الصهيونية الدموية هي النواة الأولى لـ"غولاني».

وحاول العدو التستر على السبب الحقيقي لخطوته هذه بسحب اللواء المذكور بالقول إنه من أجل "التقاط المقاتلين أنفاسهم وزيارة أهاليهم لبضعة أيام»، دون أن ينكر تكبدهم خسائر فادحة، وباعتراف العدو نفسه فإنه في 13 ديسمبر الماضي، وفق ما كشفت عنه وسائل إعلام إسرائيلية، فإن كميناً نصبه مقاتلو "كتائب القسام" لجنود من اللواء في حي الشجاعية، أدى إلى مقتل 10 ضباط، بمن فيهم قائد "غولاني" العقيد إسحق بن بشت، وعدد من قادة سرايا اللواء، فضلاً عن إصابة عدد كبير من الجنود.

حتى الساعة لم ينجح جيش الاحتلال الإسرائيلي في تحقيق مكاسب ميدانية أو أمنية تجعله قريباً من الأهداف التي أعلن عنها عندما شنّ عدوانه على غزّة، بل سبق أن تحدّثت وسائل إعلام صهيونية على أن "كل مرحلة من مراحل الحرب الجارية، يمكن أن تأخذ سنة من المواجهة"، وتقوّض الخسائر التي تلقاها جيش العدو مساعي نتنياهو في اقناع الراي العام الداخلي بقدرته على هزيمة المقاومة.

التقدمي

الوطنية لمناهضة التطبيع:
إبعاد البحرين عن أي تحالفات تخدم العدو الصهيوني

رفضت المبادرة الوطنية لمناهضة التطبيع مع العدو الصهيوني في بيان لها الدخول في أية تحالفات تدافع عن مصالح العدو الصهيوني أو يكون موجودًا فيها، وأن تكون القواعد العسكرية الأجنبية في البحرين منطلقًا لأي عدوان يخدم المصالح الصهيونية".

وشددت على ضرورة إبعاد البحرين عن سياسة التحالفات التي تعرض الأمن الوطني للمخاطر، فضلا عما تمثله من ضرر بالغ على الشعب الفلسطيني، خصوصًا في ظل الوضع الراهن الذي يقوم فيه الاحتلال بقتل عشرات الآلاف من الفلسطينيين وتهجيرهم من ديارهم وارتكاب جرائم حرب قل نظيرها، وبدلًا من التحالف معه، كان يتوجب على العرب والمجتمع الدولي تشكيل تحالف ضده".

وطالب البيان: "بتقديم قادة الكيان الصهيوني لمحكمة الجنايات الدولية باعتبار أن ما يرتكبه جرائم حرب يعاقب عليها القانون الدولي، إضافة إلى وقف حرب الابادة الجماعية، وفتح المعابر مع قطاع غزة لإدخال المساعدات الإنسانية، بما فيها الغذاء والماء والدواء وكل مقومات الحياة لكل مناطق غزة".

واعتبرت المبادرة بأن: "التحالف مع العدو الصهيوني والتغطية على جرائمه في غزة والضفة الغربية والقدس وأراضي الـ 48، هي مشاركة مفضوحة في حرب الإبادة والتطهير العرقي".

وشددت المبادرة على ضرورة تنفيذ مطلب الشعب البحريني بإلغاء اتفاقية التطبيع مع هذا العدو الغاشم وإلغاء كل الاتفاقيات المنبثقة عنها وطرد السفير الصهيوني من بلادنا البحرين.

الإفـــراج عـــن المنـــاضـــل إبراهيـــم شـــريـــف

أطلق سراح المناضل إبراهيم شريف الأمين العام السابق لجمعية العمل الوطني الديمقراطي «وعد» بعد توقيفه بأمر من النيابة العامة لمدة أسبوع على ذمّة التحقيق على خلفية منشور له على منصة «إكس»، يتصل بتداعيات العدوان الصهيوني على غزّة، وهو أمر تضمنه حرية الرأي والتعبير، واستقبل خبر الإفراج عنه بترحيب القوى السياسية ومؤسسات المجتمع المدني.

التقدمي يدين الاعتقال

وكان المنبر التقدمي قد أدان اعتقال شريف، في بيانٍ أصدره بعد اعتقاله طالب فيه بالإفراج الفوري عنه، وقال التقدّمي في بيانه: «إن التعرض للسياسيين ونشطاء «الميديا» انطلاقاً من مواقفهم نحو القضية الفلسطينية يعدّ تراجعاً خطيراً وتغوّلاً في التطبيع المرفوض شعبياً».

في اليوم العالمي للتضامن مع الشعب الفلسطيني ... التقدمي:

فلتتوقف حرب الإبادة الجماعية في غزّة

ثمن المنبر التقدمي بكل اعتزاز وتقدير صمودَ الشعب الفلسطيني الأسطوري أمام العدوان البربري من قبل الكيان الصهيوني الغاصب ويطالب بوضع حد لمأساة الشعب الفلسطيني وتأمين حقوقه المشروعة، فإنه في هذه المناسبة يسجل كذلك اعتزازه وتقديره للمواقف المشرّفة لشعب البحرين إزاء القضية الفلسطينية، وما هذه المسيرات والوقفات والمظاهر التضامنية والاحتجاجية والدعوات المتكررة لإنهاء التطبيع مع الكيان الصهيوني، والمطالبة بإغلاق السفارة وطرد السفير الصهيوني من البحرين، إلا ترجمة لمواقف هذا الشعب الثابتة تجاه القضية الفلسطينية العادلة.

وبين التقدمي في بيان له بمناسبة اليوم العالمي للتضامن مع الشعب الفلسطيني، بأن دقة المرحلة المفصلية وأهميتها في تاريخ الصراع ضد العدو الصهيوني، شاجباً: «العدوان الصهيوني السافر على غزةَ وتماديه في ارتكاب الانتهاكات الصارخة للقانون الدولي وكل المواثيق والأعراف الدولية».

وشدد التقدمي على ضرورة مواجهة على ما يتعرض الشعب الفلسطيني في قطاع غزة لأكثر المجازر الدموية في القرن الواحد والعشرين من قوات الاحتلال الصهيوني، قُتِلَ فيها حوالي 15 ألف جلّهم من الأطفال والنساء.

وواصل التقدمي بأن: «الإمبريالية الأمريكية وحلفاءَها الغربيين شركاءُ في العدوان والقتل، وأنّ النظام الرسمي العربي أكثر ما قام به عقد قمة متأخرة مع الدول الإسلامية، وصدر منه بيان كالعادة في القمم العربية، ليحفظ في أرشيف الجامعة العربية».

فضفضة

ضريبة الكبار

عيسى الدرازي

بناء على معطيات اجتماع النوّاب مع وزير المالية والاقتصاد الوطني، سنشهد في قادم الأيام تقديم مشروع قانون بشأن فرض ضريبة على الشركات، ومن الملامح الأولية يبدو انها ستكون محصورة على أرباح الشركات فقط.

الحماس الحكومي الذي يرافق الاستجابة لفرض ضريبة على الشركات جاء منذ تشكيل برنامج الحكومة 2023-2026 والذي أبدت فيه مرونة غير مسبوقة لفرض ضريبة على الشركات، بعدما باشرت فرض ضريبة القيمة المضافة في 2019 ومضاعفتها في 2022، وأكّد حينها الكثير من المراقبين الاقتصاديين بأنها لن تجدي نفعاً وسيكون تأثيرها السلبي أكبر من مردودها في ميزانية الدولة ولكن الحكومة خاضت في التطبيق متسلحة بالتوجه الخليجي حينها، فيما عدا قطر والكويت، والأخيرة لا يبدو انها بعيدة عن تطبيقها.

اللجنة المالية لمجلس النواب وبعد اجتماعها مع وزارة المالية استوضحت الشكل العام لمشروع القانون حيث بيّنت الوزارة بأنه: "ينسجم مع وضع اقتصاد البحرين، وأن الضريبة ستكون فقط على أرباح الشركات فقط وستتجنب رؤوس الأموال ودخول بوابة الاستثمار".

فرض ضريبة على الشركات تدخله البحرين بعدما آلت الأمور إلى مآلات اقتصادية حرجة ليس محلياً واقليمياً فحسب بل وعالمية أيضاً، أفرزتها الصراعات العسكرية والسياسية وانعكاسات جائحة كوفيد-19 التي لازال العالم لم يتعاف من تداعياتها، وبحسب وزارة المالية فقد وقعت البحرين مع 140 دولة اتفاقية دولية لفرض ضريبة عل الشركات والتي تم اقرارها من قبل قادة دول العشرين، بما يعادل 15٪ على أرباح الشركات العالمية الكبيرة، كما بيّنت الوزارة بأنه: "بدأ بالفعل تطبيق تلك الضريبة تدريجياً في مختلف أنحاء العالم بعد إبرام اتفاق دولي برعاية منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية في نهاية 2021".

الجانب الآخر من فرض ضريبة على أرباح الشركات يجب أن يترافق مع تحديد الشركات التي يجب أن تستقطع منهم الضريبة، وتشكيل حصانة قانونية على الشركات الصغيرة والمتوسطة حتى لا تتم المساواة بين كبير السوق وصغيرها، كما أن المشرع يجب أن يضع في الاعتبار انعكاس تطبيق الضريبة على المواطن بحيث لا يتم استغلال أي ثغرة لتحميل تبعات الاستقطاع على المواطن، من ارتفاع للأسعار أو الخدمات أو استحداث رسوم جديدة بأسماء وصفات جديدة.

في الذكرى الـ ٤٧ لاستشهاد محمد بوجيري وسعيد العويناتي

التقدمي يجدد المطالبة برد الاعتبار لجميع ضحايا حقبة أمن الدولة

جدد المنبر التقدمي المطالبة بتحمّل الدولة مسؤولياتها ذكرى استشهاد المناضلَين محمد غلوم بوجيري والشاعر سعيد جعفر العويناتي اللذَين استشهدا في عام 1976 جرّاء التعذيب الوحشي الذي لقياه على أيدي الأجهزة الأمنية في حقبة السبعينيات من القرن الماضي، التي شهدت حلّ المجلس الوطني في 26 أغسطس 1975، وملاحقة الشخصيات الوطنية، وخاصة مناضلي جبهة التحرير الوطني والجبهة الشعبية والزجّ بهم في غياهب السجون والمعتقلات استناداً إلى قانون أمن الدولة وتدابير محكمة أمن الدولة سيئا الذكر.

وطالب التقدمي كافة الحركة الوطنية بمقاربة ذلك الملف الموجع من تاريخ الوطن، من أجل رد الاعتبار والكرامة الإنسانية لجميع ضحايا تلك الحقبة السوداء، وضمان عدم تكرار أحداث تلك الفترة العصيبة وفي سبيل بناء وتعزيز قيم الديمقراطية ومبادئ حقوق الإنسان في البلاد وضمان عدم المساس بهذه الحقوق مستقبلاً تحت أي مبررات كانت.

وأكد التقدمي بأن إحياء ذكرى البطلَين الشهيدَين محمد وسعيد يعدّ وفاءً للذاكرة الوطنية وحفظها على مرّ الاجيال، وصوناً لما قدّماه من تضحيات، فقدّما حياتيهما فداءً للوطن وللقيم النبيلة التي آمنا بها، هما وكل رفاقهما، والتي عبّرت عن آمال وتطلعات الشعب بكافة مكوّناته، وهي نفس الآمال التي لا نزال نناضل في سبيل تحقيقها.

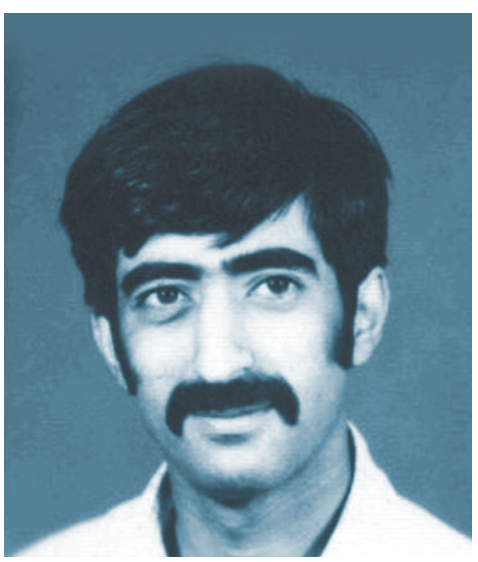

محمد غلوم

سعيد العويناتي

رحيل المناضل والفنان علي الشيراوي

علي الشيراوي

من تكريم التقدمي للشيراوي في مارس ٢٠٠٨

رحل عنا المناضل والشخصية الوطنية والثقافية علي الشيراوي، الذي انخرط في حركة القوميين العرب منذ مطلع الستينات، ونشط في انتفاضة مارس 1965، وأصبح في السبعينات من أبرز الوجوه القيادية في اللجنة التاسيسية لعمال البحرين، ومثّلها في المؤتمر التأسيسي للاتحاد الوطني لطلبة البحرين في دمشق 15–25 فبراير 1972، وتعرض للاعتقال عدّة مرات، في الأعوام 1972، 1973، وكان ضمن من شملتهم حملة الاعتقالات من المناضلين الوطنيين قبيل حلّ المجلس الوطني، وفرض قانون أمن الدولة في 1975.

وأشار المحامي عباس هلال في مقال كتبه بعد رحيل المناضل الشيراوي إلى أن زنزانة واحدة في سجن جزيرة جدا جمعت الشيراوي مع يوسف العجاجي وبدر عبدالملك وأحمد زينل، وهي المعروفة بالزنزانة رقم (3)، قبل أن يتمّ ترحيله مع بقية الرفاق إلى سجن سافرة بداية يناير 1977 ، وفي ديسمبر من السنة نفسها أطلق سراحه، ليعمل، بعد ذلك، موظفاً في بنك البحرين والكويت.

عرف الفقيد باهتماماته المسرحية، حيث كان أحد الوجوه البارزة في مسرح أوال منذ تأسيسه، وأدى أدواراً في عدد من المسرحيات، منها «سرور» و«الممثلون يتراشقون الحجارة» وغيرها، كما عمل، مسرحياً، كمساعد مخرج ومدير إضاءة ومدير إنتاج ومراقب للحركة.

التقدمي يكّرم الشيراوي

وكان المرحوم علي الشيراوي واحداً من المناضلين الذين كرّمهم المنبر التقدمي في فعالية «يوم الوفاء» التي كانت تقام سنوياً، ضمن مجموعة من مناضلي جبهة التحرير الوطني التي كان الفقيد قريباً منها، حيث تولى المناضل الراحل أحمد الشملان، الرئيس الفخري للتقدمي، تسليمه درع التكريم، في الحفل الذي أقيم في مقر جمعية الأطباء البحرينية في 11 مارس عام 2008.

في اليوم العالمي لمكافحة الفساد

التقدمي: بناء منظومة فاعلة وتفعيل دور البرلمان والمجتمع المدني لمكافحته

التعامل الجاد مع تقارير ديوان الرقابة المالية والإدارية

بمناسبة اليوم العالمي لمكافحة الفساد الذي يصادف اليوم التاسع من ديسمبر شدّد المنبر التقدمي على أهمية بناء منظومة وطنية فاعلة ضد كل أشكال ومستويات الفساد سواء عبر الالتزام بكل مقتضيات اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد التي هي الصك العالمي الوحيد الملزم قانونياً لمكافحة هذا الفساد، وهي الاتفاقية التي صادقت عليها مملكة البحرين في العام 2010، وفي مقدمة ما تقتضيه إنشاء هيئة مستقلة لمكافحة الفساد، وإصدار قانون حق الوصول إلى المعلومات وقانون حماية الشهود والمبلغين، وحرية الرأي والتعبير، وتعزيز الشفافية، وكل ما يحقق هدف بناء مناعة وطنية ضد الفساد تساعد على اجتثاث كل جذور الفساد وخاصة عبر التعامل الجاد والفاعل مع تقارير ديوان الرقابة المالية والإدارية، واتخاذ الإجراءات القانونية الحاسمة تجاه مختلف التجاوزات.

وأكّد التقدمي أن تقليب ملفات التجاوزات والفساد لن يؤدي إلى تحسين مكافحتها ما لم تتوسع معها منظومة الصلاحيات الرقابية وإزالة كافة معوقات العمل النيابي وفي طليعتها الاستجواب والمساءلة المصحوبة بحق سحب الثقة.

كما شدد التقدمي على دور النواب في التعاطي الأمثل واللازم ليس فقط في التعامل مع تقارير ديوان الرقابة المالية والإدارية، أو لجان التحقيق التي تتشكّل للنظر في بعض الملفات، وإنما إلى جانب ذلك التحرر من المراوحات أو المراوغات التي تُغيّب أو تُضعِف الدور المطلوب من مجلس النواب في مكافحة الفساد، إلى جانب العمل على بناء استراتيجية وطنية لذلك، والدفع باتجاه ما يرسي مبادئ الشفافية والنزاهة في كافة عناصر المنظومة الإدارية وسنّ التشريعات الداعمة لمكافحة الفساد، وتحقيق النزاهة السياسية وبخاصة في الانتخابات العامة، وتفعيل دور المجتمع المدني ومؤسساته في تحقيق هذا الهدف وعدم التضييق على أي من الجمعيات وفي المقدمة منها الجمعيات السياسية.

الوطنية لمناهضة التطبيع: إبعاد البحرين عن أي تحالفات تخدم العدو الصهيوني

طالب بتقديم قادة الكيان الصهيوني لمحكمة الجنايات الدولية باعتبار أن ما يرتكبه جرائم حرب

رفضت المبادرة الوطنية لمناهضة التطبيع مع العدو الصهيوني في بيان لها الدخول في أية تحالفات تدافع عن مصالح العدو الصهيوني أو يكون موجودًا فيها، وأن تكون القواعد العسكرية الأجنبية في البحرين منطلقًا لأي عدوان يخدم المصالح الصهيونية".

وشددت على ضرورة إبعاد البحرين عن سياسة التحالفات التي تعرض الأمن الوطني للمخاطر، فضلا عما تمثله من ضرر بالغ على الشعب الفلسطيني، خصوصًا في ظل الوضع الراهن الذي يقوم فيه الاحتلال بقتل عشرات الآلاف من الفلسطينيين وتهجيرهم من ديارهم وارتكاب جرائم حرب قل نظيرها، وبدلًا من التحالف معه، كان يتوجب على العرب والمجتمع الدولي تشكيل تحالف ضده".

وطالب البيان: "بتقديم قادة الكيان الصهيوني لمحكمة الجنايات الدولية باعتبار أن ما يرتكبه جرائم حرب يعاقب عليها القانون الدولي، إضافة إلى وقف حرب الابادة الجماعية، وفتح المعابر مع قطاع غزة لإدخال المساعدات الإنسانية، بما فيها الغذاء والماء والدواء وكل مقومات الحياة لكل مناطق غزة".

واعتبرت المبادرة بأن: "التحالف مع العدو الصهيوني والتغطية على جرائمه في غزة والضفة الغربية والقدس وأراضي الـ 48، هي مشاركة مفضوحة في حرب الإبادة والتطهير العرقي".

وشددت المبادرة على ضرورة تنفيذ مطلب الشعب البحريني بإلغاء اتفاقية التطبيع مع هذا العدو الغاشم وإلغاء كل الاتفاقيات المنبثقة عنها وطرد السفير الصهيوني من بلادنا البحرين.

في اليوم العالمي لحقوق الإنسان ... التقدمي:

إعلاء مبدأ سيادة القانون والمواطنة المتساوية

دعا المنبر التقدمي للمضي قدماً نحو تعزيز وحماية حقوق الإنسان في مملكة البحرين، وترجمة مواد الدستور إلى واقع فعلي ملموس يستشعره المواطن وفي طليعتها المواد (٢٣-٢٢-٢٠-١٨-٨-٧) وغيرها من المواد التي تأتي متَّسقة مع الشرعة الدولية، إلا أنها تغيب واقعاً وفعلاً من حياتنا.

وقال التقدمي في بيان له بمناسبة اليوم العالمي لحقوق الانسان بأنه: «يحمل إرث جبهة التحرير الوطني البحرينية وناضل على مدى عقود طويلة جنباً إلى جنب مع غيره من التيارات الوطنية من أجل نيل الحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية والمدنية، كما ناضل من أجل حماية وصون ما تحقق منها»، واستنكر: «السياسة الرسمية التي سعت دوماً إلى تجزئتها وعزلها عن بعضها البعض إذ أن هذه الحقوق لا يمكن أن تؤدي وظيفتها ودورها في المجتمع إلا وهي مجتمعة تتكامل بها السمة الإنسانية، وتدعم في وظيفتها الاجتماعية الواحدة منها مع الأخرى».

وأكد التقدمي على ضرورة إعلاء مبدأ سيادة القانون والمواطنة المتساوية، وعلى ضمان حق الصحة والتعليم باعتبارهم من الحقوق الأساسية، وضمان أفضلية البحريني بالتوظيف برواتب مجزية ووضع حد أدنى لها، وتوفير مستوى معيشي لائق من خلال توفير السكن المناسب بشروط تمويل ميسرة مع حفظ حق ذوي الدخل المحدود.

وطالب التقدمي بتعزيز الصلاحيات التشريعية والرقابية لمجلس النواب والنهوض بالتجربة البرلمانية، وإزالة القيود التي تحول دون ممارسة صلاحيات المجلس في الرقابة والاستجواب والمساءلة، وإلغاء التشريعات التي تحوّل دون ممارسة شريحة واسعة من المواطنين حقهم في الترشح لمجلس النواب، أو المشاركة في عضوية مجالس إدارات الجمعيات الأهلية والمدنية.

وشدد على إعطاء المرأة البحرينية المتزوجة من غير البحريني الحق بمنح جنسيتها لأبنائها دعما لتماسك الأسرة التي تُقيم إقامة دائمة في البحرين، وذلك وفق ضوابط قانونية واضحة ومحددة تُراعي السيادة الوطنية وتتماشى مع الصكوك الدولية لحقوق الإنسان، والسماح بحق التظاهر السلمي الذي يعتبر أحد مظاهر الحياة الديمقراطية وأحد طرق التعبير عن الرأي باعتباره حقاً قانونياً ودستورياً.

كما وطالب بتحسين ظروف السجن والاحتجاز وفق القانون والاتفاقيات الدولية والتوسع في تطبيق أحكام قانون العقوبات والتدابير البديلة ونظام السجون المفتوحة ومراعاة النساء وصغار السن بما يتناسب مع ظروف المحكوم عليهم، حيث يُمثِّل هذا القانون تطويراً للمنظومة الحقوقية ويُعزز مكانة البحرين في الساحة الدولية، وإصدار قانون جديد للعمل الأهلي في البحرين يُنظم حق تأسيس الجمعيات الأهلية بمجرد الإخطار ويوفر الضمانات التي تكفل ممارسة هذا الحق ويعزز استقلالية تلك الجمعيات ويُوفِّر لها الموارد المالية والبشرية من خلال ضوابط واضحة ومحددة.

قطاع المرأة بالتقدمي:

تعديل قانون الجنسية وإنهاء معاناة النساء المتضررات وابنائهن

أكد قطاع المرأة بالمنبر التقدمي بأن المرأة البحرينية كانت وستظل شريكاً أساسياً في تحقيق أهداف التنمية الوطنية، ويرى أنه إذا كانت مناسبة يوم المرأة البحرينية فرصة لتسليط الضوء على ما حققته المرأة في مختلف ميادين العمل والعطاء، فإنها في الوقت ذاته يجب أن تكون فرصة للوقوف على كل ما يعزز حقوقها والتعبير عن قضاياها.

وطالب قطاع المرأة بهذه المناسبة بأن يكون هناك تدخل تشريعي لتعديل قانون الجنسية وإنهاء معاناة النساء المتضررات جراء عدم منح جنسيتهن البحرينية لأبنائهن، بالإضافة إلى تنقيح ومواءمة كافة القوانين والتشريعات الوطنية مثل قانون أحكام الاسرة وقانون العنف الأسري والبنود الخاص بعمل المرأة وقانون الجمعيات وتشريع قانون خاص لحماية المرأة من العنف.

وأكد القطاع على: تعديل نظام الإجازات وساعة الرعاية للنساء والعاملات في القطاع الخاص، وضرورة دراسة أوضاع النساء في القطاع غير المنظم وإصدار التشريعات والإجراءات اللازمة لتوفير التغطية التأمينية لهن.

وشدد القطاع على ضرورة سن قوانين تنصف قطاع رياض الأطفال الذي هو قطاع نسائي بامتياز وذلك بتعديل رواتبهن المتدنية وتعديل عقودهن المؤقتة ليتسنى لهن الاشتراك في نظام التأمين الاجتماعي الذي يوفرها هذا النظام ضد الشيخوخة، والعمل على توظيف العاطلات عن العمل ذوات التخصصات المختلفة من طب وهندسة وغيرها من العلوم الإنسانية، فظاهرة البطالة بين النساء متفشية إلى حدٍ كبير مما يؤثر على المجتمع اقتصادياً واجتماعياً.

مطرقة البرلمان

الحكومة وسياسة الهروب للأمام

خلال مناقشات الجلسة ما قبل الاخيرة من الشهر الاخير من السنة، وفي معرض تعليقاتهم على ردود الحكومة على ما مجموعه ٢٨ مقترحاً برغبة، جاءت تعليقات ومداخلات النواب غاضبة على معظم اجابات الحكومة التي جاءت إما مكررة او سلبية، خاصة إذا ما علمنا أن النسبة الأغلب من تلك المقترحات جاءت مرتبطة بقضايا توظيف البحرينيين في تخصصات حيوية كالطب والهندسة والقانون والتمريض وطب الاسنان والعلاج الطبيعي وغيرها.

بطبيعة الحال لم تكن ردود الحكومة تلك هي الأولى من نوعها، بل أن اغلب ردود الحكومة على مقترحات النواب عادة ما تأتي إما سلبية أو أنها لا تقدّم جديداً، والسؤال هنا هو: لماذا تستمر الحكومة في التعاطي بمثل هذه السلبية المفرطة وغير المبررة، خاصة بالنسبة لقضايا حيوية تتعلق بحقوق دستورية وخدماتية أساسية للمواطنين، كالبطالة والوضع المعيشي والخدماتي وغيرها؟! وبعيداً عن تلك الردود، فإننا جميعا في مملكة البحرين أمام تحديات كبيرة وعلى مختلف المستويات في ظل ظروف محلية واقليمية ودولية، سياسية واقتصادية وأمنية غاية في التعقيد، وهي لذلك تتطلب من الجميع وفي مقدمتهم الحكومة بطبيعة الحال، الانتباه لمآلات ترك الكثير من قضايانا معلقة الى ما لا نهاية، فالمشاكل لن تُحل هكذا من جراء ذاتها وإنما تحتاج إلى تعاط مختلف وارادة سياسية واعية تضع في مقدمتها اولوية الاقرار بوجود تلك التحديات وضرورة معالجتها أمام مشارط الفحص والعلاج، وهذا بطبيعته يتطلب تعاملاً مغايراً عما هو قائم ومنذ سنوات بل أقول منذ عقود.

فقضايا مثل أولوية التوظيف للبحريني والاسكان وتراجع المستوى المعيشي واهمال اصحاب التخصصات العلمية وفوضى سوق العمل وفساد صناديق التقاعد والتعيينات الإدارية غير المستندة في غالبيتها إلى الكفاءة، وغيرها من القضايا لا يمكن أبداً أن تصمد أمام ما تمارسه السلطة التنفيذية من هروب مستمر إلى الأمام. نعتقد ان القضايا التي نشير لها هنا في غالبيتها ليست عصيّة على الحل، ولنا في غالبية دول الجوار أمثلة عديدة وناجحة يمكن الاحتذاء بها، أو على الأقل تطويرها كحلول مستدامة، يمكن أن تتناسب مع طبيعة سوقنا المحلي، بدلاً من الإيحاء الواهم دائماً وأبدا، إننا نسير باتجاه إحلال المواطنين كأولوية في مختلف الشركات، خاصة تلك المندرجة تحت مظلة ممتلكات، الشركة القابضة التي تدير أكبر وأهم صندوق سيادي على مستوى الوطن، وكذلك على مستوى القطاع الخاص بأكمله، أو أن مشاريع إصلاحات سوق العمل تسير في الاتجاه الصحيح، أو أن المشاريع الإسكانية تلبي طموحات المواطنين كماً ونوعاً، وأن معدّلات النمو ترتفع والاقتصاد يتعافى ..الخ.

خلاصة القول، إننا بالفعل أمام تحديات كبيرة لن تجدي معها بكل تأكيد ما تقدّمه الحكومة حتى الآن من مبادرات مسلوقة سرعان ما تتلاشى وتضيع معها تلك الملايين المرصودة لها دون أن تكلف الحكومة نفسها عناء لنظر في مسببات ذلك التلاشي والهدر المستمر في المال العام دون نتائج ملموسة!!

عبد النبي سلمان

النقابة العمالية في «ألبا» ترفض تغيير «التقاعد الطبي»

رفضت النقابة العمالية في شركة «ألبا» قرار الشركة بإجراء تغييرات سلبية في ظروف العمل، والتي تخالف الإطار القانوني، ولا تتوافق مع الممارسات اللائقة في مجال حقوق العمال والعلاقات العمالية، والتي تعد إخفاقًا لتفعيل وتحفيز الحوار الاجتماعي الفعال والمنتج ولا تتوافق مع مبادئ الشركة في الممارسات البيئية والاجتماعية والحوكمة».

وقالت النقابة بأنها: «علمت بالتغييرات التي طرأت على بعض البنود في لائحة السياسة الداخلية بالشركة والتي تخص العمال بشكل مباشر، ومنها تغيير معايير التقاعد الطبي، والكثير من اللوائح التي تمس أرزاق العمال وذلك دون أي حوار مع النقابة».

وطالبت النقابة إدارة الشركة: «بالتراجع الفوري عن هذه التغييرات التعسفية، وإعادة الأمور إلى ما كانت عليه، بل يجب أن تسعى الإدارة للنهوض بالمستوى المعيشي للعمال لتحسين ظروفهم ورفاهيتهم بدلاً من سلبهم حقوقهم، وفتح قنوات فعّالة للحوار والتفاوض مع النقابة للوصول الى حلول مرضية للجميع».

وأكدت النقابة التزامها بحماية حقوق العمال ومصالحهم، والنضال من اجل الحصول على المزيد من المكاسب العمالية المُكتسبة التي تصب بالفائدة على جميع العمال بالشركة، والسعي لتطوير مميزاتها والحفاظ عليها والتي ناضل من اجلها اسلافنا خلال سنوات الكفاح العمالي في أقسى وأحلك الظروف.

إلغاء قرار «العمالي» بالدعوة لانتخاب إحدى النقابات

ألغت المحكمة الإدارية الكبرى قرار الاتحاد العام لنقابات عمال البحرين بالدعوة لانتخاب مجلس إدارة جديد لإحدى النقابات العمالية في البحرين وإلغاء جميع الإجراءات التي اتخذها الاتحاد وما ترتب على ذلك من آثار والتي منها تمكين مجلس إدارة النقابة المنتخبة من ممارسة صلاحياته، وذلك حسبما ذكره محامي النقابة المحامي أسامة الملا.

وعن تفاصيل الدعوى قال المحامي أسامة الملا بأنه لجأ للقضاء وأكد من خلال الدعوى بأن النقابة عمالية لها شخصيتها الاعتبارية المستقلة شكلت وفقا لقانون النقابات العمالية إلا أن الاتحاد العام لنقابات البحرين تدخل في شؤونها دون سند من الواقع أو القانون، وأعلنوا عن انتخابات جديدة لمجلس إدارة النقابة المدعية والدعوة للترشح لعضوية لجنة الإشراف على الانتخابات، ثم أعلنت لجنة الإشراف عن انتخابات مجلس إدارة النقابة العمالية وأجرت انتخابات انتهت بعضوية مجلس إدارة النقابة جديد بالمخالفة.

وأضاف الملا بأنه طلب بصفة مستعجلة وقف تنفيذ القرار السلبي الصادر من وزارة العمل المدعى عليها الأولى بالسكوت عن الإجراءات الباطلة المخالفة للقانون بانتخاب مجلس إدارة جديد للنقابة، وإلغاء قرار الاتحاد العام لنقابات عمال البحرين بانتخاب مجلس إدارة جديد للنقابة المدعية وكل الإجراءات التي اتخذها ولا يزال يتخذها، مع ما يترتب على ذلك من آثار وأخصها إزالة كل أوجه التعرض للنقابة وتمكين مجلس إدارتها المنتخب من ممارسة صلاحياته.

«الأيام» – 19 ديسمبر 2023

افتتاح المقر الجديد للاتحاد العام لنقابات عمال البحرين

افتتح وزير العمل المقر الجديد للاتحاد العام لنقابات عمال البحرين في منطقة العدلية، مؤكداً على تعزيز العمل النقابي في مملكة البحرين وتهيئة البنى التحتية المناسبة لتمكين الاتحادات العمالية من مواصلة دورها في المحافظة على حقوق العمال وكفالة حرية العمل النقابي ودفعه قدماً إلى الأمام وفقاً للنظم والتشريعات النافذة وبما يعزز المسيرة التنموية والحضارية لمملكة البحرين.

من جانبه، أشاد الأمين العام للاتحاد العام لنقابات عمال البحرين عبد القادر عبد الكريم الشهابي بالنقابيين المؤسسين للاتحاد العام لنقابات عمال البحرين والأعضاء السابقين للأمانات العامة والرؤساء وأعضاء النقابات العمالية المنضوية تحت مظلة الاتحاد على جهودهم في تشييد المقر الجديد للاتحاد، مؤكداً أن العمال هم شركاء فاعلون ومؤثرون في العملية الاقتصادية وهم المحرك الأساس والمساهم في التنمية الشاملة، لافتاً في هذا السياق إلى تطلع الاتحاد العام لمستقبل عمالي زاهر تضلله العدالة الاجتماعية وتسوده الحرية النقابية والمساواة بين جميع العمال بغية نهضة بلدنا العزيز.

«بنا» – 20 ديسمبر 2023

جانب من الافتتاح

نقابتا ألبا وأسري تمثلان البحرين بمؤتمر دولي في تشيلي

عقد الاتحاد الدولي لعمال النقل (ITF) اجتماعه الخاص بالبحارة وعمال الأرصفة البحرية بسانتياغو عاصمة جمهورية تشيلي، ومثل عمال البحرين في هذا القطاع يونس ال مبارك رئيس النقابة العمالية لشركة البا وعبداله المسيح رئيس نقابة أسري العمالية حيث يسجل عمال البحرين حضوراً لافتاً ومهما في هذا القطاع.

ناقش المـؤتمـرون العديد من الأجندة المتفق عليها في جدول الأعمال لقسم عمال الموانئ وفي مقدمتها رصد جميع الأخطار المحتملة من الانبعاثات الكربونية وملفات الصحة والسلامة المهنية وضعت نقابة البا العمالية مرئياتها عبر المداخلات في هذا الجانب كما شاركت نقابة أسري العمالية تجربتها الناجحة فيما يخص التطبيق الخاص بالصحة والسلامة المهنية الخاص بالموانئ البحرية والوطن العربي.

كاريكاتير
خالد الهاشمي

نقلاً عن حساب الفنان على «انستجرام»

نقـابة جـارمكـو تدين حـالات الفصــل التعسفــي

استنكرت نقابة عمال «جارمكو» الاستهداف الممنهج الذي تمارسه ادارة الشركة والاجراءات غير القانونية التي تتخذها الادارة التنفيذية، وأدانت حالات الفصل الجماعي التعسفي المخالفة لأنظمة وقوانين العمل والتهديدات الادارية والتي استهدفت أعضاء جمعيتها العمومية.

وقالت النقابة بأن القرارات الأخيرة الصادرة بحق العمال البحرينيين من إيقاف وفصل تعسفي تعتبر مخالفة للأنظمة والقوانين، واعتبرت بأن التهديد بفقدان الوظيفة أمراً غير مقبول إطلاقا، ويترتب عليه خلق بيئة عمل غير آمنة وغير مستقرة، ويؤثر على انعدام الأمان الوظيفي على الصحة النفسية والأداء وإنعدام حافز الانتاج، وزيادة مخاطر الصحة والسلامة المهنية ويؤدي إلى مشاكل صحية علاوة على الأثار الاجتماعية والاقتصادية الخطيرة خاصة على المستوى الاقتصاد الوطني بزيادة نسبة البطالة لأن الممارسات الادارية تستهدف تسريح العمالة الوطنية حصرا وإحلالها بالأجنبية في الوقت نفسه.

وأوضحت النقابة بأن: " استهداف العمال بالفصل التعسفي أو بالتهديد بالفصل او بإنزال عقوبة أو الايذاء المادي والمعنوي بهدف خلق حالة من الضغط والتأثير على العمال للتنازل عن القضية العمالية والتوقيع على التسوية الادارية غير العادلة هو ابتزاز الى حقوقهم ومكتسباتهم»، كما رفضت النقابة: «وضع العمال كورقة مساومة اسلوب ملتو وممارسة تعسفية وهو شكل من اشكال السخرة والعنف وتمييز ضد أفراد على أساس الانتماء النقابي مما يقوض حقوق الحرية النقابية التي كفلها القانون».

وحملت النقابة العمالية مجلس إدارة الشركة المسؤولية الكاملة لتبعات هذه السياسات العبثية والتقاعس عن اتخاذ تدابير رادعة وتطالب النقابة الجهات المعنية والمكلفة بحفظ القوانين بصون الحقوق العمالية والقيام بدورها وتحمل مسؤولياتها القانونية والدستورية لوقف التجاوزات وحملات التمييز ضد النقابة العمالية ومنسبيها وإلغاء كافة القرارات المخالفة المتخذة من قبل إدارة الشركة وإرجاع المفصولين والموقوفين دون وجه حق.

مقدّمات العدوان الصهيوني على غزّة وتداعياته

تُرّوج وسائل الإعلام الغربية، والدوائر الحاكمة في الدول الأوروبية والولايات المتحدة وسواها، لفكرة أنه لولا العملية غير المسبوقة التي قامت بها حركة «حماس» في ما يطلق عليه «غلاف غزّة» في السابع من أكتوبر الماضي، لما قام العدو الصهيوني بهجومه الدموي على القطاع، والذي أودى، حتى كتابة هذه السطور، بأكثر من عشرين ألف شهيد، فضلاً عن مئات الآلاف من الجرحى، وتدمير المنازل على ساكنيها، واستهداف المستشفيات والمدارس التي تحوّلت إلى مراكز إيواء، وللأسف الشديد فإن بعض الإعلام العربي وبعض الأبواق تروج لهذه السردية، التي يتناسى دعاتها أن الاعتداءات، بل والحروب، الإسرائيلية على القطاع لم تتوقف خلال عقود، كما أن إسرائيل لم تتوقف عن استهداف المدنيين في الضفة الغربية، سواء على أيدي جيشها النظامي، أو من خلال عصابات الميليشيات التي زرعها الكيان في أراضي الضفة وقطّعت أوصالها، بصورة جعلت من هدف إقامة دولة فلسطينية مستقلة تشمل الضفة والقطاع أقرب إلى المستحيل، خاصة في ظل الخلل الكبير في ميزان القوى في المنطقة لصالح إسرائيل وحمّاتها في الغرب.

د. حسن مدن

«بي.بي.سي»: إسرائيل وضعت خطة سرية قبل 52 عاما لترحيل الآلاف من فلسطينيي غزّة إلى شمال سيناء

هذا لا ينفي أن عملية السابع من أكتوبر 2023 النوعية، والأولى من نوعها في تاريخ الصراع الفلسطيني – الصهيوني، قد هزّت أركان دولة الاحتلال وأظهرت هشاشتها، وأكذوبة جيشها «الذي لا يُقهر» كما تدعي، فها هو لولا الجسور الجوية من واشنطن التي تمدّه بالعتاد وبأحدث الأسلحة وأكثرها فتكاً، لكان قد انهار في حربه على غزّة، أمام إرادة الشعب الفلسطيني هناك ومقاومته، ورغم الوحشية التي يمارسها في القطاع في انتقام مسعور، ما زال عاجزاً عن تحقيق ما وضعه من أهداف لعدوانه، رغم مرور قرابة ثلاثة شهور.

التهجير مشروع صهيوني قديم

للزاعمين بأن «حماس» هي من تسبب في الحرب الجارية الحالية، سنقف هنا عند موضوع تهجير سكان قطاع غزّة من مصر إلى شبه جزيرة سيناء، وهو الهدف الذي أفصح عنه قادة العدو في بداية حربهم على القطاع، لنشير إلى أن مشروعاً شريراً مثل هذا يمتد عمره لأكثر من خمسة عقود، وهو ما أفصحت عنه وثيقة بريطانية رفعت عنها السرية مؤخراً، ونشر موقع «بي. بي.سي» تقريراً وافياً عنها، وتشير إلى أن إسرائيل وضعت خطة سرية قبل 52 عاما لترحيل الآلاف من فلسطينيي غزّة إلى شمال سيناء، بعد احتلال الجيش الإسرائيلي للقطاع والضفة الغربية والقدس الشرقية ومرتفعات الجولان السورية، في حرب يونيو/حزيران عام 1967، حيث أصبح القطاع منطلق كقاومة مسلحة شجاعة وجريئة ضد الاحتلال.

وحسب تقديرات البريطانيين، فإنه عندما احتلت إسرائيل غزّة، كان في القطاع 200 ألف لاجيء، من مناطق فلسطين الأخرى، ترعاهم وكالة الأمم المتحدة لغوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين «الأونروا» و150 ألفا آخرين هم سكان القطاع الأصليون الفلسطينيون، حيث رصدت السفارة البريطانية في تل أبيب تحركات إسرائيلية لتهجير آلاف الفلسطينيين إلى العريش

التي تقع شمالي شبه جزيرة سيناء المصرية، وتبعد قرابة 54 كليومترا عن حدود غزة مع مصر، بل بلغ الأمر أن دولة الاحتلال أسرّت للبريطانيين، في سبتمبر/أيلول 1971، بوجود خطة سرية لترحيل الفلسطينيين من غزة إلى مناطق أخرى على رأسها العريش المصرية. وأبلغ وزير النقل والاتصالات الإسرائيلي آنذاك شمعون بيريس (زعيم حزب العمل ووزير الدفاع والخارجية ورئيس الحكومة ورئيس الدولة في إسرائيل لاحقاً) المستشار السياسي للسفارة البريطانية في تل أبيب بأنه «حان الوقت لإسرائيل كي تفعل أكثر في قطاع غزّة وأقل في الضفة الغربية».

وفي تقرير عن اللقاء، قالت السفارة البريطانية إن بيريس، الذي كان مسؤولاً عن التعامل مع الأراضي المحتلة، أكّد «أنه رغم أن الحكومة (الإسرائيلية) لن تعلن رسميا السياسة الجديدة، ولن تنشر توصيات اللجنة الوزارية التي تراجع الموقف، فإن هناك الآن اتفاقا في مجلس الوزراء على متابعة تدابير بعيدة المدى للتعامل بشكل أكثر فعالية مع مشكلات غزة، و في إطار ذلك سيتم إعادة توطين حوالى ثلث سكان المخيمات في أماكن أخرى في القطاع أو خارجه». وأكّد اعتقاد إسرائيل بأن «هناك حاجة ربما إلى خفض إجمالي عدد السكان بحوالى 100 ألف شخص»، وبعدها أبلغ الجيش الإسرائيلي، في لقاء رسمي، عددا من الملحقين العسكريين الأجانب بتفاصيل إضافية عن خطة ترحيل الفلسطينيين من غزّة.

وحسب التقرير المشار إليه فإن إدارة الشرق الأدنى في الخارجية البريطانية، وإن لم تظهر موقفاً معلناً معارضاً للخطة، شأن الغرب حتى اللحظة، لكنها حذّرت من أن قادة دولة الاحتلال يقللون من قيمة حجم الغضب الذي تثيره هذه العقيدة الإسرائيلية القائمة على خلق حقائق على الأرض، في العالم العربي والأمم المتحدة، وجرى نقاش، يومها، في وزارة الخارجية بشأن مدى اتفاق السياسة الإسرائيلية مع معاهدة جنيف الرابعة التي تحدد مسؤوليات دول الاحتلال. فوفق المادة 39 من المعاهدة، فإنه يُحظر النقل القسري الفردي أو الجماعي، وكذلك عملية ترحيل الأشخاص من أرض محتلة إلى أرض سلطة الاحتلال أو أرض أي دولة أخرى، سواء تخضع للاحتلال أم لا، وبغض النظر عن الدافع وراء ذلك.

هذه الوثيقة أبلغ ردّ على من يُحمّلون المقاومة في قطاع غزّة مسؤولية العدوان الصهيوني الهمجي على القطاع، وتكشف أحد مقدّمات وأيضاً أحد أهداف هذا العدوان. وما يتعين التركيز عليه اليوم، هي الأسباب التي جعلت العدو الصهيوني يتمادى في همجيته في غزّة وفي الضفة الغربية وفي القدس، فنحن شهود على تغوّل العدو الصهيوني بعد خطوات التطبيع معه، والتي اشتركت فيها البحرين للأسف، ما أدى إلى المزيد من تهميش القضية الفلسطينية، وما شجع على التطبيع مع العدو تصدّع الموقف الرسمي الفلسطيني خاصة بعد شرك «أوسلو»، وافتقار السلطة الفلسطينية إلى استراتيجية متكاملة وقابلة للتطبيق، لإدارة الصراع.

وسبق هذا التطبيع ما آل إليه الوضع العربي برمته خلال العقدين الماضيين، بدءاً من الاحتلال الأمريكي للعراق، وما تلى أحداث العام 2011 في غير بلد عربي، كسوريا وليبيا واليمن وسواها، حيث اندلعت حروب وفتن، وانهارت الدولة المركزية في عدّة بلدان، التي أصبحت مقسمة، وتخضع الكثير من أراضيها لسيطرة ميليشيلت متطرفة.

ترافق كل ذلك مع صعود التيارات السياسية والعسكرية الإسرائيلية، اليمينية والعنصرية المتطرفة، والتي أصبحت تدير دولة الاحتلال، وفق سياسات هي الأشدّ عنصرية وغطرسة وغروراً في تاريخ الكيان، التي لا تخفي أجندتها في احتلال كامل الضفة الغربية والقدّس وتهويدها وضمّها إلى دولة الاحتلال، ويجري كل ذلك على خلفية وضع دولي يشهد صعود الموجات اليمينية المتطرفة في غير بلد أوروبي، وانحدار العالم إلى المزيد من غطرسة الولايات المتحدة وحلفائها في أوروبا، وانفضاح ادعاءاتها بحقوق الإنسان، والدفع بالعالم مجدداً نحو حرب باردة شرسة، بإشعال الحرب الأوكرانية، والسعي لاستنزاف قدرات روسيا، كنوع من من الرد على تصدّع نظام القطب الدولي الواحد، وتبلوّر عالم متعدد الأقطاب.

تداعيات العدوان

بعد مرور نحو ثلاثة شهور على العدوان الصهيوني على غزّة، وكذلك التصعيد الأمني والعسكري الصهيوني في الضفة الغربية، ما زالت المقاومة الفلسطينية صامدة، وقادرة على منازلة العدو وتكبيده خسائر فادحة في الأرواح والمعدّات، باعتراف قادة الكيان رغم سعيهم للتقليل من أعداد القتلى والجرحى من ضباطهم وجنودهم، وفي نوع من المكابرة يستمر العدو في حربه ويزّداد فيها شراسة، شعوراً منه بان وقفها سيعني هزيمة معنوية كبرى يُمنى بها، تهزّ أركان حكومة نتنياهو المتطرفة وتُطيح بها، على خلفية الاستياء داخل الكيان من إدارته للحرب، وتفريطه في أرواح الرهائن الإسرائيليين لدى فصائل المقاومة، ومن أجل ذلك فإن اليمين الصهيوني المتطرف مستعد للمجازفة في استمرار حرب عدوانية رغم كلفتها الباهظة والمدمرة، ورغم ما هي عليه من همجية ووحشية، دافعاً المنطقة كلها إلى أتون مواجهة شاملة ستشعل عدة حروب، وستترتب عليها تبعات خطيرة ومدمرة.

لقد فضحت هذه الحرب، ربما أكثر من أي حرب سابقة، زيف ما تدعي به واشنطن وحلفاؤها من مبادئ القانون الدولي وحماية المدنيين، وحريات التعبير والسلام الدولي، وحتى (حل الدولتين)، وعطلت واشنطن أكثر من مرة بالفيتو للمطالبة بوقف الحرب من قبل مجلس الأمن الدولي، رغم إرادة الغالبية الساحقة من أعضائه، وإرادة غالبية الدول العضوة في هيئة الأمم المتحدة، وإرادة كل شعوب العالم، ونداءات مؤسسات ومنظمات قانونية وإنسانية أممية.

شعب فلسطين لن يقهر

إن الرهان الصهيوني على القضاء على المقاومة في غزّة وهم كبير، فالأمر لا يكمن في قوّة هذا التنظيم أو ذاك، وفي مسيرة الكفاح الفلسطيني تعاقبت أجيال من المكافحين من أجل الحرية والاستقلال واستعادة الحق الفلسطيني المسلوب، من اتجاهات مختلفة، قومية ويسارية وإسلامية، وشخصيات ورموز وطنية ودينية مستقلة، مسلمة ومسيحية، ورغم فداحة ما قدّمه الفلسطينيون من تضحيات أمام ازدياد بطش الكيان، فإن إرادتهم لم تهن ولن تهون، فما من قضية عادلة لأي شعب إلا وكللت بالنصر مهما طال الزمن وعظمت التضحيات، ولنا في نضال شعوب كثيرة القدوة والبرهان، مثل الشعب الفيتنامي بزعامة هوشي منه، وشعب جنوب إفريقيا بزعامة الرمز الأممي نيلسون مانديلا زعيم المؤتمر الوطني الإفريقي الذي قاد نضال الشعب لهزيمة العنصرية وانتصر، رغم أن دول الغرب صنفته لفترة طويلة كتنظيم إرهابي، كما تفعل الآن مع المقاومة الفلسطينية، وما زلنا نذكر مقولة مانديلا بعد انتصار شعبه: «نصرنا ناقص قبل أن تتحرر فلسطين».

وهاهم الفلسطينيون يعطون البرهان على إرادتهم الفولاذية، فمقاتلوهم يستشهدون لكن القضية لا ولن تموت، بل أن هؤلاء الشهداء يلهمون الأجيال بمواصلة الكفاح، وحسبنا هنا أن نشير إلى نموذج عهد التميمي، ابنة الاثنين وعشرين عاماً، التي استحوذت على الاهتمام الشعبي والإعلامي بعد أن ظهرت لأول مرة في مقطع فيديو تهدد جندياً إسرائيلياً باللكم، وهي في الحادية عشرة من عمرها، وهي في الـ14 من عمرها انتشر مقطع فيديو لها وهي تعض يد جندي إسرائيلي كان قد احتجز شقيقها، وقضت عهد التميمي عندما كانت في السابعة عشرة ثمانية أشهر في السجن بعد صدور حكم عليها لصفع جندي إسرائيلي وركله، وقالت عهد آنذاك في جلسة المحكمة إنها صاحت في الجنود الاسرائيليين لأنها رأتهم يطلقون الرصاص المطاطي على ابن عمها محمد في الرأس في اليوم ذاته، كما أعادت قوات الاحتلال اعتقالها في نوفمبر الماضي بسبب منشور على موقع إنستغرام، ولنا أن نتخيل عشرات الآلاف من شبان وشابات، من فتيان وصبايا فلسطين، في غزّة والضفة والقدس وفي الشتات، الذين يحملون إرادة التحدي والصمود نفسها التي أظهرتها عهد التميمي، وسيواصلون المسيرة راهناً ومستقبلاً.

بصراحة

الإمبريالية عدوّة الشعوب

الإمبريالية فكر وأيديولوجية تقوم على السيطرة والهيمنة على مقدرات وخيرات الشعوب والبلدان المستقلة بالقوة العسكرية أو بطرق أخرى (الاقتصاد والمال والتجارة)، ومن خلال السوشال ميديا تسيطر على أغلب البرامجيات والتقنيات الحديثة وتتحكم فيها. قال لينين: الإمبريالية أعلى مراحل الرأسمالية، فالإمبريالية الأمريكية مثلاً لديها أذرع اقتصادية ومالية مثل صندوق النقد والبنك الدوليَين من خلالهما تفرض إملاءاتها وشروطها على العديد من البلدان التي تحتاج إلى مساعدات مالية وبالأخص البلدان الفقيرة، وتكبّلها بالديون ولا تستطيع سدادها لسنوات فتزداد عليها فوائد الدين العام، مما يجعل تلك الدول مدينة للإمبريالية الأمريكية، ولا تستطيع الفكاك منها، والدول التي لا تروق لها ولا تدخل ضمن هيمنتها تخلق لها المشاكل والخلافات والصراعات الداخلية أو الإقليمية والدولية، وتسقط أنظمتها السياسية وتساند الانقلابات العسكرية مثلما حدث سابقاً في دول أمريكا اللاتينية في تشيلي عام ١٩٧٣ ضد الحكومة الديمقراطية المنتخبة بقيادة سلفادور الليندي.

فاضل الحليبي

وهناك العديد من البلدان والشعوب التي رفضت الانصياع لقراراتها أو إملاءاتها، أبرزها كوبا منذ أكثر من خمسة وستين عاماً وهي صامدة بالرغم من الحصار بكل أشكاله المفروض عليها، تواصل طريقها المستقل بالرغم من كل الصعوبات والضغوطات التي عانت منها طوال تلك السنوات، فالإمبرياليةُ الأمريكيةُ مستمرةٌ في تطبيق مبدئها القديم بأنَّه ليس لديها أصدقاء دائمون،

وإنما مصالح دائمة، فقد تخلّت عن شاه إيران أثناء الثورة الإيرانية في عام 1979، وعن الرئيس المصري الراحل حسني مبارك، في أحداث مصر في يناير 2011، والقائمة تطول ففي العديد من البلدان حول العالم تتعاطى معهم وفق مصالحها.

وعندما أسقطت نظام صدام حسين في العراق في إبريل عام 2003، هل كان متوقعاً بأنها سوف ترحل عن العراق، وتترك الشعب العراقي يحدد خياراته السياسية، وبأنَّها سوف تجعل من العراق «كوريا جنوبية أخرى في المنطقة؟، وتطبق الديمقراطية والحريات العامة واحترام حقوق الإنسان في العراق بدل النظام الدكتاتوري، وهي كلها شعارات تخالف الواقع، كان واهماً من صدّقها، فازداد التعصب المذهبي والعرقي في العراق، ولم يُبِن أو يُعمّر، بل تمَّ تخريبه وتدميره، وبرزت الصراعات والخلافات على الزعامة، كما سُرِقت أموالُ الشعب العراقي من المحتلّين الأمريكان وزعماء العراق الجدد، فالإمبريالية الأمريكية لا تريد عراقاً متطوراً أو متقدماً، لأنها لم تسقط نظام صدام حسين حباً في العراقيين، وأنما من أجل مصالحها في المنطقة والدفاع عن مصالح الكيان الصهيوني، فالقيم الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان لا تعني شيئاً لها، فقد انكشفت على حقيقتها في العراق وغيره.

وهذا يؤكده ما يجري في غزّة اليوم، من عدوان صهيوني، حيث فاق عدد القتلى، حتى الآن، عشرين ألف فلسطيني، في واحدة من أكثر المجازر دموية في عصرنا الحديث، بعد الحرب العالمية الثانية في أعوام 1945/1939، وانكشف، مرة أخرى، وجه أمريكا القبيح، فهي الشريك الرئيسي في العدوان الصهيوني على غزّة، وليس غريباً أن تستخدم حق النقض الفيتو في مجلس الأمن للأمم المتحدة، وترفض وقف إطلاق النار، وبكلمات فإنها تريد قتل المزيد من الفلسطينيين الأبرياء، وهناك أنظمة عربية تدعم توجهات وأهداف الإمبريالية الأمريكية في المنطقة وتقدّم لها التسهيلات والمساعدات اللوجستية، و أنْ تخالف شعوبها المتضامنة مع الشعب الفلسطيني الشقيق، المنددة بالعدوان الصهيوني وكل أفعاله الإجرامية تجاه الشعب الفلسطيني من القتل والتدمير والتهجير بحق الفلسطينيين الأبرياء.

أوجز لينين تعريف للإمبريالية بقوله: «علينا أن نقول إنها هي المرحلة الاحتكارية للرأسمالية. ومن شأن هذا التعريف أن يشمل الشيء الأكثر أهمية، فمن ناحية، رأس المال المالي هو رأس المال المصرفي لعدد قليل من البنوك الاحتكارية الكبيرة جداً، مندمجاً مع رأسمال الاتحادات الاحتكارية للصناعيين؛ ومن ناحية أخرى، فإن تقسيم العالم هو الانتقال من السياسة الاستعمارية التي امتدَّت دون عائق إلى مناطق لم تستغلها أي قوة رأسمالية، إلى سياسة استعمارية للحيازة الاحتكارية لأراضي العالم، والذي اقتسم بالكامل» .

الدول التي تراهن على حماية ودعم الإمبريالية الأمريكية لها، رهان خاسر، فالأمثلة المذكورة سلفاً واضحةٌ. الدولة الوحيدة في المنطقة التي هي مستعدة للدفاع عنها، والذهاب أكثر من ذلك، بأن تحارب من أجلها هو الكيان الصهيوني، وما يجري في غزةَ يؤكد ماذهبنا إليه، فالأهم في الإستراتيجية الأمريكية هو الكيان الصهيوني، فهل تتّعظ من كل هذه الدروس والعبر الدول وبالأخص العربية؟!.

(قف)

الموقف الصيني من الحرب الإسرائيلية على غزّة

يبدو أن عملية السابع من أكتوبر وما تلاها من عدوانٍ إسرائيلي على غزة ستترك أثرًا عميقًا على النظام الدولي الذي يمرّ بمرحلة مخاض مستمرة منذ عدة سنوات، إذ جاءت هذه الحرب لتعمّق من أزمة الولايات المتحدة الإستراتيجية، التي تحاول التعامل مع تداعيات الحرب في أوكرانيا، وما تستنزفه من جهود سياسية وعسكرية تقف عائقًا أمام إعادة تمحور واشنطن، للتركيز على جنوب شرق آسيا واحتواء الصعود الصيني دوليًا. ويعني ذلك، من وجهة نظر الباحث في الشؤون الدولية والعلاقات الصينية بلال سلايمة، أن الحرب أعادت الولايات المتحدة إلى الشرق الأوسط من جديد، وهي التي تعمل على تخفيض مستوى انخراطها في المنطقة.

فهد المضحكي

عادت واشنطن للمنطقة ليس سياسيًا فقط، وإنما عسكريًا من خلال حاملتي طائرات والتزام ضمني بالوقوف بجانب إسرائيل في حال توسع الحرب في غزة إقليميًا. وعودة الانخراط الأمريكي للشرق الأوسط ليس فقط سيوفر لبوتين فرصة لالتقاط الأنفاس في أوكرانيا ميدانيًا، واستغلال الازدواجية الأمريكية للتحشيد سياسيًا فحسب، بل يعطي مساحة للصين للاستمرار في تثبيت نفوذها في منطقة جنوب شرق آسيا وتعزيز خطوات صعودها الدولي.

أما الصين من جهتها، والتي تمثل القطب الصاعد في النظام الدولي، فتتقدم بخطى ثابتة نحو الشرق الأوسط. الانخراط الصيني المتصاعد لا يتوقع أن يشكّل على المدى القريب رافعة لموازنة الموقف الأميركي، إذ ما زال التواجد الصيني في المنطقة محدودًا، وهي التي لا توجد لها قوات عسكرية منتشرة، باستثناء مئات العناصر المشاركين ضمن بعثات الأمم المتحدة لحفظ السلام، كما أن بكين غير معنية بمواجهة الولايات المتحدة الأمريكية، ولا تتبع سياسة الندية في تعاملها مع الغرب، على الأقل في المدى المنظور. محدودية الدور الصيني تبدو واضحة في الملف الفلسطيني– الإسرائيلي، والذي لا تمتلك فيه الصين أدوات الضغط على الطرف الإسرائيلي للدفع بأي عملية تفاوض أو وساطة محتملة.

لكن بكين تتميز أيضاً عن الولايات المتحدة بقراءة أكثر توازنًا لوضع الشرق الأوسط، وللقضية الفلسطينية. فالصين ما زالت ترى أن جوهر الأزمة يتمثل في الاحتلال الإسرائيلي، وأنه لا بديل عن حل يتمثل في دولة فلسطينية ذات سيادة فعلية. كما أن الصين رفضت ومازالت أن تعتبر حركة المقاومة حركة إرهابية، وتعمل على إبقاء علاقات معها، هذا رغم سياسة الصين التقليدية في التعامل مع الحكومات دون الفاعلين من غير الدول. ولعل الميزة الأهم أن الصين تتعامل مع الملف الفلسطيني كملف سياسة خارجية بالدرجة الأولى، على خلاف كل من الولايات المتحدة والدول الأوروبية، التي تحتل فيها القضية الفلسطينية– الإسرائيلية مساحة واسعة في السياسة الداخلية، سواء عبر دور وتواجد اللوبيات الإسرائيلية، أم نتيجة إرث معاداة السامية، وهو ما يجعل الدول الغربية عاجزة عن رسم سياسة متوازنة تجاه قضية الشرق الأوسط.

يترافق هذا الموقف الرسمي الصيني مع موقف شعبي منحاز أكثر للموقف الفلسطيني، فوفق أحد المتخصصين في الرأي العام الصيني فإن الخطاب الشعبي على السوشيال ميديا في الصين يرى أن العرب أقرب للصينيين من إسرائيل والغرب، كما أن الخطاب الشعبي يرى أن الصين لا يمكن أن تدعم إسرائيل المدعومة أصلًا من قبل أميركا غريم الصين.

هذه القراءة المتمايزة عن القراءة الأميركية – الغربية، خاصة في ظل الإنحياز الأمريكي– الأوروبي الأعمى لإسرائيل، هي ما يجعل الأعين تتجه لبكين. في محاولة للبحث عن وسيلة للضغط باتجاه وقف إطلاق النار في غزّةً، في خطوة ذات بعد رمزي بالدرجة الأولى. لكن هذه الخطوة تمثل تأكيدًا على رغبة العديد من دول المنطقة فيأن تلعب الصين دورًا أوسع في المنطقة، وهو ما تمت الإشارة إليه من خلال توجه الرياض وطهران والصين لرعاية الاتفاق السعودي– الإيراني الأخير.

التطور في الموقف الصيني جاء من خلال قمة دول البريكس في يوم الحادي والعشرين من نوفمبر/ تشرين الثاني الماضي، في قمة افتراضية استثنائية حول القضية الفلسطينية الإسرائيلية. ففي أول حديث رسمي للرئيس الصيني حول الحرب في غزّة تحدث عن الحاجة لوقف نار فوري، واصفًا ما يتعرض له قطاع غزّة وسكانه بالعقاب الجماعي. كما أكد الرئيس الصيني تشي أن "السبيل الوحيد لكسر دائرة الصراع الفلسطيني – الإسرائيلي يكمن في حل الدولتين، واستعادة الحقوق الوطنية المشروعة للفلسطينيين، وإقامة دولة فلسطين مستقلة ". كما دعا لعقد مؤتمر دولي لتحقيق سلام شامل وعادل ومستدام في فلسطين. وهو ما يمثل خطوة مهمة على صعيد لعب الصين دورًا دوليًا في القضية الفلسطينية.

التحرك الصيني من خلال مجموعة البريكس، وتأكيد الرئيس الصيني خلال قمتها الافتراضية مع زعماء روسيا وجنوب أفريقيا والبرازيل على "أهمية الحديث بصوت عال من أجل العدالة والسلام فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية الإسرائيلية "، يأتي بالتوازيً أيضاً مع حراك صيني مهم في مجلس الأمن.

توازن الموقف الصيني وتمايزه عن موقف الولايات المتحدة هو ما يؤهل بكين الصاعدة لزيادة وزنها على الساحة الدولية للعب دور أكبر في المدى المتوسط أو البعيد في القضية الفلسطينية. ولا يستبعد أن تلعب الصين لاحقًا الدور ذاته، الذي كان الاتحاد السوفييتي يلعبه إبان الحرب الباردة، في إعادة ضبط الإيقاع الدولي حول الصراع الفلسطيني– الإسرائيلي.

دعهم يأكلون الكعكة:
رحلة إلى إنسانية إدوارد سعيد

بقلم: تيد شتاينبرغ

ترجمة وتقديم:
د. محمد الصياد

في سبتمبر من عام 2019، أي قبل طوفان الأقصى بأربع سنوات ونيف، كتب تيد شتاينبرغ "Ted Steinberg"، مقالاً بعنوان "دعهم يأكلون الكعكة: رحلة إلى إنسانية إدوارد سعيد" (Let Them Eat Cake: a Journey into Edward Said's Humanism).

ونظراً لرؤية كاتب المقال الشفافة، وقراءته المسبقة لما كان قادما من انفجارات في الصراع الدائر بين الشعب الفلسطيني المسنود من كافة أحرار العالم، وبين دولة الاحتلال الإسرائيلي المدعومة من قبل كافة الدول الامبريالية الغربية، وجدنا أن من المناسب نقله الى العربية وتعميم رؤيته التي تعبر عن خط فكري متمرد على السردية الصهيونية المستعمِرة للحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية الأمريكية. وهي رؤية ما برحت تخترق الأوساط الطلابية والأكاديمية، وحتى السياسية في الولايات المتحدة، وتحقق شعبية متزايدة.

إنما دعونا نتعرف أولاً على كاتب هذا المقال قبل عرض ترجمته الى العربية كما هي من دون تدخل. وُلد تيد شتاينبرغ في مايو 1961 في بلدة بروكلين (إحدى البلدات الخمس في مدينة نيويورك)، ونشأ في قرية ميريك بلونغ آيلاند نشأة دينية يهودية؛ فقد أُقيم له حفل بلوغ في معبد بيث آم "Temple Beth Am" في ميريك في أبريل عام 1974. والحفل عبارة عن مراسم تنشئة طقسية تقام للصبية اليهود حين يبلغون الثالثة عشرة من العمر، كبالغين مهيئين للالتزام بالمبادئ الدينية ومؤهلين للمشاركة في طقوس العبادة العمومية.

لذلك كان تيد شتاينبرغ في نشأته مؤيداً تلقائيا لإسرائيل، لكنه ما أن دخل حرم الجامعة، واطلع على مؤلفات عالم اللسانيات والفيلسوف اليساري الأمريكي الشهير نعوم تشومسكي2، ومؤلفات المفكر العربَي/الفلسطيني الأمريكي إدوارد سعيد، حتى أصبح مناهضا صلبا للصهيونية. حصل على درجة البكالوريوس بامتياز مع مرتبة الشرف عام 1983 من جامعة تافتس "Tufts University"، وحصل على درجة الدكتوراه في التاريخ من جامعة براندیز "Brandeis University" عام 1989، وعمل أستاذا في عدة جامعات ومعاهد منها جامعة ميشيغان، ومعهد نيوجيرسي للتكنولوجيا، وجامعة كيس ويسترن ريزيرف، حيث يشغل أيضا منصب مستشار هيئة التدريس لاتحاد الطلاب الراديكالي ومستشار هيئة التدريس لـ"طلاب من أجل العدالة في فلسطين" في نفس الجامعة. وهو، كما نعوم تشومسكي وإدوارد سعيد، مدافع صلب عن حقوق الشعب الفلسطيني، ويدعم حركة المقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات "Boycott، Divestment and Sanctions – BDS"، بما في ذلك مقاطعة المؤسسات الأكاديمية الإسرائيلية. وبصفته مستشارا لهيئة التدريس لمنظمة طلاب من أجل العدالة في فلسطين، أيد قرار الهيئة الطلابية في جامعة كيس ويسترن ريزيرف الذي يدعو الجامعة لسحب استثماراتها من الشركات التي تمارس أعمالا تجارية في إسرائيل. وهو ضيف دائم على العديد من البرامج الحوارية التفزيونية والإذاعية، وينشر العديد من الدراسات والمقالات في منصات مختلفة، بما فيها نيويورك تايمز وشبكات الاعلام التقدمي في الولايات المتحدة. وتتميز مقالاته الرئيسية بالنقد اللاذع للرأسمالية ولاقتصاد السوق.

يبدأ المقال على النحو التالي: كان ذلك يوم 27 أبريل 1974، وهو يوم بلوغي. كان الطعام في حفل الاستقبال عاديا باستثناء الحلوى، وهي عبارة عن كعكة صفراء كبيرة أُعدت تكريما لي؛ والتي تصادف أن تكون على شكل دولة إسرائيل. أعجبتني الكعكة، وخاصة الكعكة الصفراء.

لا أعرف مَن مِن الضيوف حصل على قطعة من الضفة الغربية. لكن تلك الشرائح جاءت مظللة بخطوط فنية متوازية من الجليد البني. لا بد أن الخباز كان يدرس شؤون الشرق الأوسط في المدرسة المسائية، ليس فقط في الضفة الغربية، بل أيضا في مساحات أخرى من الأراضي المتنازع عليها مثل سيناء ومرتفعات الجولان وحتى قطاع غزة الصغير، والتي تم الاستيلاء عليها جميعا في حرب الأيام الستة عام 1967، وقد تم تعليمها على الكعكة بعلامات فارقة، إذ تم غرس أعلام إسرائيلية مصغرة في الكعكة للتأكيد على انتصار الشعب اليهودي في واحدة من أكثر قطع الأرض شحناً بالمخاطر على هذا الكوكب. لماذا كانت الكعكة مظللة جزئيًا؟ كان هذا هو السؤال الذي لم يخطر ببالي أبدا.

لقد تعلمنا في المدرسة العبرية أن إسرائيل أرض بلا شعب لشعب بلا أرض. ظننت أن هذا في منتهى الكمال. أعطاني الناس هدايا عيد الميلاد بما في ذلك شهادات الأشجار المزروعة هناك على شرفي. أرض بلا بشر أوحت لي بالعقم. بدت الأشجار فكرة معقولة.

في عام 1976 قمت بزيارة إسرائيل، ورافقني في الجولة شخص يدعى أليكس، وكان من المفهوم أن يناديني باسمي العبري. قمنا بزيارة عدد من الأماكن المميزة بذلكم الفقس المظَلّل على الكعكة، بما في ذلك الخليل الواقعة في الضفة الغربية، ومرتفعات الجولان.

عندما وصلنا إلى مرتفعات الجولان نزلت من السيارة وتقيأت، على الرغم من أنني لم أكن أدلي بأي نوع من التصريحات السياسية. كان لدى أليكس قدم ثقيلة. رأيت أشجارا في رحلتنا، ولكن لم تكن هناك أي منها مزروعة باسمي، بينما كنا نسرع نحو كيبوتس يُدعى كفار جلعادي يقع بالقرب من الحدود مع لبنان. وفي اليوم التالي، توجهنا جنوبا إلى القدس عبر ما أسماه أليكس "المنطقة المحررة". أنا متأكد من أنه لم يكن لدي أي فكرة عما يعنيه ذلك. أردت فقط الوصول إلى القدس دون التقيؤ مرة أخرى.

علمت أنه عندما وصل الصهاينة وجدوا أرضا فارغة، أرضا قاحلة في حاجة ماسة إلى التحسين. والتحسين هو بالضبط ما فعله اليهود "الكادحون"، مما جعل الصحراء تزدهر. في كل مكان ذهبنا إليه، كان أليكس يروي نفس القصة: قبل مجيء اليهود، لم يكن يوجد أي شيء هنا. انظر الآن إلى المكان، منظر طبيعي جميل ومستأنس، يتناغم مع نغمة الحياة الحديثة.

في الكلية اكتشفت أن هناك أولئك الأشخاص الذين يُدعَون فلسطينيين. قالت غولدا مائير، رئيسة الوزراء في حفل بلوغي "Bar Mitzvah"، عبارتها الشهيرة، إنه بالنسبة للشعب الفلسطيني "فإنه غير موجود". لم يتحدث أحد قط عن الفلسطينيين في المعبد أو أثناء الرحلة إلى إسرائيل. لقد كان العرب دائما هم الذين سمعت عنهم، ولم أسمع أبدا عن العرب الفلسطينيين.

كان هناك هذا الرجل الذي يتجول في كامبريدج، ماساتشوستس، بالقرب من المكان الذي أسلكه في طريقي إلى الكلية، والذي كان يتحدث بشكل روتيني عن هؤلاء الفلسطينيين الغامضين. اعتقدت أنه كان يُدعى نورم، كما في نورمان تشومسكي. تشومسكي هذا كان يشير إلى الفلسطينيين على أنهم شعب أصلي. لم يخبرني أحد بذلك قط. قال إن الفلسطينيين لديهم حق مشروع في كعكة عيد ميلادي، على الرغم من أنه لم يعبر عن الأمر بهذه الطريقة.

كنت أتجول في إحدى محلات بيع الكتب في كامبريدج عندما عثرت على كتاب بعنوان "المثلث المصيري: الولايات المتحدة وإسرائيل والفلسطينيون" (1983). المؤلف هو نعوم تشومسكي، الأستاذ في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، وهو نفس الشخص الذي رأيته ذات مرة يتحدث عن الفلسطينيين. ومن المؤكد أنه كان لديه فهم مختلف لدور إسرائيل في العالم عن سانفورد سابرستين "Sanford Saperstein"، الحاخام الذي كنت أقلده في نشأتي، والذي وصف إسرائيل بأنها الديمقراطية الوحيدة في منطقة محاصرة تعاني من الإرهابيين الذين يسعون لإلقاء اليهود في البحر.

بعد سنوات قليلة، قرأت كتاب "إلقاء اللوم على الضحايا: المنح الدراسية الزائفة والمسألة الفلسطينية" "Blaming the Victims: Spurious Scholarship and the Palestinian Question" (1988). وكان أحد المحررين الذين شاركوا في تأليف هذا الكتاب، شخص يدعى إدوارد سعيد. ولد (إدوارد) سعيد في القدس الغربية عام 1935، وغادر فلسطين إلى القاهرة عام 1947. وبعد أربع سنوات، انتقل إلى الولايات المتحدة، حيث كانت لوالديه علاقات (درس والد سعيد في جامعة كيس ويسترن ريسيرف "Case Western Reserve University"، حيث أقوم بالتدريس حاليا). كان سعيد طفلاً مشاكساً، لذلك كان يتلقى نصيبه من الضرب. وقد التحق بمدرسة داخلية في وادي نهر كونيتيكت، وهي بيئة طبيعية مقارنة لنشأته في الصحراء، ما بدا أن ذلك فاقم إحساسه بالغربة (كتب لاحقا: "الثلج يدل على نوع من الموت"). انتقل سعيد للدراسة في جامعتي برينستون وهارفارد ثم انضم إلى هيئة تدريس اللغة الإنجليزية والأدب المقارن بجامعة كولومبيا في عام 1963، وبرز سعيد، الذي التقى بتشومسكي في ذروة الاحتجاجات ضد الحرب في فيتنام، كواحد من أبرز المثقفين "المنشقين" في القرن العشرين.

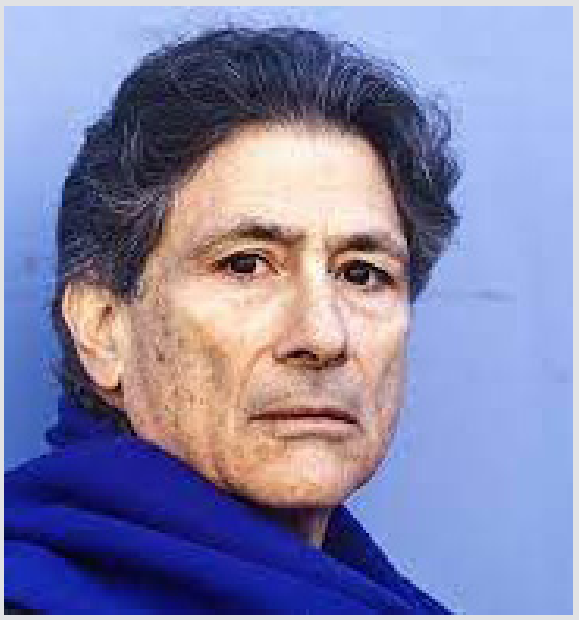

إدوارد سعيد

سعيد رجل متعلم للغاية، رأى في المثقف أفضل دفاع للإنسانية ضد "عالم غير تاريخي منسي"؛ وقد اتخذ منعطفا صارما نحو اليسار بعد حرب الأيام الستة (حرب 1967 بين العرب وإسرائيل). تذكّر ذات مرة إنه وجد في دفء مارتن لوثر كينغ تجاه انتصار إسرائيل في المعركة، مثيرا للقلق، ربما لأنه كان مبنيا على فرضية أن الفلسطينيين ببساطة غير موجودين. وكما كتب سعيد في عام 1968، "يتم تصور فلسطين على أنها صحراء فارغة تنتظر أن تتفتح، وسكانها من البدو الرحل لا يملكون أي حق ثابت في الأرض، وبالتالي لا ديمومة ثقافية". وبسبب هذه المحاولات والمحاولات المماثلة لقلب آراء المؤسسة، تم تشويه سمعة سعيد باعتباره معاديا للسامية و"أستاذ الإرهاب".

كان سعيد دليلاً حيا على أن تعليمي في المدرسة العبرية لم يكن تعليما على الإطلاق. أرض بلا بشر؟ جرداء!؟ الفلسطينيون غير موجودين!؟ لقد نجحت هجمة العلاقات العامة التي شنتها إسرائيل، والتي كانت تهدف إلى قلب حقيقة مفادها أن تأسيس الدولة استلزم تجريد السكان الأصليين من ممتلكاتهم، بشكل بارع.

بعد عام من احتفالي بحفل بلوغي، أدلى سعيد بشهادته أمام لجنة تابعة للكونغرس. يومها قال: "تخيلوا أنكم، بسبب بعض المفارقات الخبيثة، وجدتم أنفسكم مصنفين أجانب في بلدكم. هذا هو جوهر مصير الفلسطينيين في القرن العشرين". أطلق سعيد على مذكراته الصادرة عام 1999 عنوان "خارج المكان" في إشارة إلى حياته التي قضاها في صراع مع آلام المنفى.

لقد أتاحت له إنسانيته (إنسانية ادوارد سعيد) رؤية الصراع في هذا الركن من العالم من منظور يصور المأساة الحقيقية للشعب الفلسطيني. وكما كتب: "كان الوعي قد بزغ في كل مكان حول وجود شعبين يخوضان صراعا رهيبا على نفس الأرض، حيث كان أحدهما، الواقع تحت وطأة ماض مروع من الاضطهاد والإبادة المنهجيين، في وضع المضطهِد للشعب الآخر". وعلى الرغم من دفاعه عن حقوق الفلسطينيين، إلا أن سعيد اعترف دائما بحقيقة أن الصهيونية أصبحت على ما هي عليه (من وحشية) بسبب الاضطهاد والإبادة الجماعية التي عانى منها اليهود.

بعد الغزو الإسرائيلي للبنان عام 1982، كشف سعيد شيئا تجاهله تشومسكي: إنه على الرغم من اختلال توازن القوى، كان للفلسطينيين القدرة على التصرف، وهي نقطة أكدتها الانتفاضة الأولى، التي أضحت تمردا متواصلا ضد الاستعمار بدأ عام 1987، أي قبل عام من قراءتي لإدوارد سعيد.

لقد ساعد فكر سعيد، وانخراطه في الشؤون السياسية، والأهم من ذلك كله نضالات الفلسطينيين العاديين الساعين للتحرر من الاحتلال – ساعد في تغيير النظرة التي تنظر بها السلطات الإسرائيلية إلى الشعب الفلسطيني. فلم يعد الشعب الفلسطيني غير موجود، إذ كيف يمكن لحركة المقاومة أن لا يكون لها هوية موحدة. في ثمانينيات القرن الماضي بدأ القادة الإسرائيليون في اطلاق نعوت تحقيرية مختلفة على الفلسطينيين، مثل "أبناء آوى" (الجنرال موشيه ديان)، و"الجنادب" (رئيس الوزراء إسحق شامير)، و"الحشرات" (رئيس الوزراء مناحيم بيغن)، و"الصراصير" (الجنرال رافائيل إيتان). وكتب سعيد: «لعلنا نستطيع يوما ما أن نتطلع لتحقيق مكانة الماشية أو القرود».

في عام 1988، شارك سعيد في فعالية أقيمت في نيويورك مع الفيلسوف مايكل والزر "Michael Walzer" من معهد الدراسات المتقدمة، وهو يهودي معروف بسياساته التقدمية (هذا طبعا بحسب المعايير الأمريكية الفاسدة في التصنيف السياسي – المترجم). انتقد فالزر سعيد لأنه عزف على وتر الماضي عندما قال إن القضية المتعلقة بالفلسطينيين هي المستقبل. كان سعيد عاجزا عن الكلام. عند هذه النقطة، قامت امرأة من بين الجمهور تدعى هيلدا سيلفرشتاين "Hilda Silverstein" وتولت الهجوم على فالزر، متوجهة له بالسؤال: "كيف تجرؤ على قول ذلك لأي شخص؟ نحن نطلب من كل العالم، من كل الناس في العالم، أن يتذكروا ماضينا، وأنت تقول للفلسطيني أن ينسى الماضي؟ كيف تجرؤ؟"

لم يعد سعيد إلى مكان ولادته حتى مساء يوم 12 يونيو 1992، أي بعد مرور خمسة وأربعين عاما من آخر مرة وطأت فيها قدماه ذلك المكان. لم يكن لديه أي وسيلة لمعرفة أمر كعكتي وتجولي فيما بعد في وطنه، حيث شعرت بالترحيب الشديد.

كنت أتساءل بيني وبين نفسي عما إذا كنت سأتذكر كعكة عيد ميلادي لولا وجود المصورين من فيلد ستوديوز في بروكلين. لقد أنتجوا تذكارا صغيرا تكريما لي بهذه المناسبة: ألبوم بسمك أربع بوصات مع صفحات مذهبة بسماكة ثمان بوصات من تلك التي خلّدت الحلوى. ها أنا ذا أرتدي بدلتي الأولى مع ربطة عنق فوشيه كبيرة تكاد تنفجر من تحت ذقني. طلب مني المصور أن أضع ذراعي على الطاولة، ما جعلني أتكئ وأنظر إلى الدولة الإسرائيلية الموسعة المرسومة باللون البيج والبني والأحمر.

لسنوات، امتدت لعقود، كان ألبوم بار ميتزفه الضخم ساكناً على الرف في غرفة العائلة بمنزل طفولتي. كانت هذه هي السنوات التي انزلقت فيها الحلوى إلى خبايا تاريخي الشخصي الذي استراح هناك حتى عاد إلى وعيه مرة أخرى في ربيع عام 2010.

في هذه المرحلة من حياتي كنت أستاذا جامعيا، وقد كنت كذلك منذ أكثر من عقدين من الزمن. كنت في اجتماع مؤسف حول مدى ملاءمة ضم أحد المتبرعين إلى لجنة التوظيف بالجامعة للحصول على منصب أستاذية في الدراسات اليهودية عندما أثرتُ موضوع كعكتي التي يبلغ عمرها خمسة وثلاثين عاما. ومن المثير للدهشة أن لجنة التوظيف ضمت أيضا عضو هيئة تدريس في الفيزياء تصادف أنه صهيوني، ولم يكن لديه أي مؤهلات أكاديمية تؤهله للمساهمة في هذه المسألة.

لقد كشف إدوارد سعيد منذ فترة طويلة عن الطرق التي أسهم بها المثقفون في إضفاء الشرعية على الوضع الراهن. فقد كان السماح لجهة مانحة وأحد العلماء بالمساعدة في توظيف باحث في العلوم الإنسانية، بمثابة وصفة لمزيد من إضفاء تلك الشرعية. كان طرح الكعكة البغيضة، هي طريقتي للفت الانتباه إلى العمل الهجومي الذي سأقوم به. لكن من الواضح أن طريقتي الفظة في تلاوة رواية حلوى "أرضي المقدسة"، لم تلق آذاناً صاغية، لأنه بعد بضع سنوات، في عام 2015، شارك اثنان من المانحين من الاتحاد اليهودي في كليفلاند – الملتزم حرفيا بـ"دعم إسرائيل كدولة يهودية وديمقراطية" – في حملة أخرى للبحث عن عمل جامعي في الدراسات اليهودية. وقد تم تمويل هذا المنصب في الكلية بهبة سُميت باسم أبا هيليل سيلفر (Abba Hillel Silver، 1893–1963)3. وكما يوضح الكاتب الأمريكي المتخصص في قضايا المنطقة

العربية وجوارها، والتر هيكسون "Walter L. Hixson"، في كتابه «درع إسرائيل: اللوبي الإسرائيلي والجيل الأول من الصراع الفلسطيني» (Israel's Armor: The Israel Lobby and the First Generation of the Palestine Conflict)، الصادر سنة 2019، فقد لعب سيلفر دورا رئيسيا في ربط الهوية اليهودية بالمشروع الصهيوني، وبرز كأحد مهندسي اللوبي الإسرائيلي في الولايات المتحدة، الذي عمل بلا هوادة على تقويض جهود تحقيق العدالة للشعب الفلسطيني. كم هي قاسية سخرية القدر أن يساعد المانحون في الاتحاد اليهودي في فحص طلبات العمل! إنما لحسن الحظ أن سعيد، الذي دُفن في هذه المرحلة في جبال لبنان، قد فاته كل هذا.

مؤخراً، قمت باستحضار الكعكة الاستعمارية الاستيطانية في محاضرة بعنوان "من يخاف من إدوارد سعيد؟"، وذلك بغية محاولة معالجة هذا السؤال مع تقديم مثال على تحولي الشخصي في التفكير حول إسرائيل والفلسطينيين كوسيلة لتوضيح أن نسختنا من الحقيقة لا تتشكل ببساطة من خلال المنطق والأدلة ولكن من خلال تجاربنا في الحياة. وكانت كعكتي بمثابة الرقائق المثالية لرؤية سعيد لعالم أكثر مساواة وديمقراطية يقوم على الوصول المشترك إلى الأرض، وتقرير المصير، والتبادلية. أعلام وخطوط الكعكة تدور حول القومية والملكية، وحول ما يفرقنا عن بعضنا البعض، وهو عالم كئيب ميئوس منه بقدر ما هو مفلس.

من يخاف من إدوارد سعيد؟ القائمة طويلة وتتجاوز المشاهير مثل آلان ديرشوفيتز "Alan Dershowitz" (محامي أمريكي، ابن لأبوين يهوديين أرثوذكسيين – المترجم)، الذي استغل مناسبة وفاة سعيد بسبب السرطان في عام 2003 لمقارنته – ربما بالتشبيه الأكثر انحطاطا وتقززاً على الإطلاق – بمئير كاهانا، مؤسس رابطة الدفاع اليهودية، وهي جماعة قومية يهودية معادية للعرب.

في الوقت نفسه تقريبا، اتهم مارتن كرامر "Martin Kramer" (باحث أمريكي إسرائيلي في شؤون الشرق الأوسط في جامعة تل أبيب ومعهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، ينتمي الى تيار المحافظين الجدد، اليميني القريب من منازل الفاشية – المترجم) – انتقد أيضا سعيد ووصفه ساخراً بـ "الفلسطيني المظلوم". استاء كريمر من سعيد لأنه ساعد في ولادة فكر ما بعد الاستعمار، الذي يدرس الإمبريالية وعلاقات القوة غير المتكافئة جذريا في تشكيل العالم. وفي تفسير كرامر الغريب، فإن دراسات ما بعد الاستعمار، قلبت دراسات الشرق الأوسط وأدخلتها في حالة من الفوضى التي انتهت بإزالة ما أسماه "الموضوعية النزيهة". من الواضح أنه لم يخطر ببال هذا الرجل "ذو النسب العالي"، والذي حصل على ثلاث درجات مختلفة من جامعة برينستون، أن السياسة والعلم ليسا قسمين منفصلين في لعبة الحياة الفكرية. كتب سعيد في كتابه الكلاسيكي "الاستشراق" الصادر عام 1978: "لم يبتكر أحد قط طريقة لفصل الباحث عن ظروف الحياة". وهو ما يفسر سبب ارتباط كرامر بمعهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، وهو مركز أبحاث مرتبط بشكل وثيق بلجنة الشؤون العامة الأمريكية الإسرائيلية "إيباك" (American Israel Public Affairs Committee AIPAC)، وهي مجموعة تسوق نفسها على أنها "اللوبي الأمريكي المؤيد لإسرائيل".

هؤلاء هم تلك الأنواع من الـ "دونيبروكس" (Donnybrooks)4 الذين يظهرون بشكل دوري في العالم الأكاديمي؛ إنما من السهل اهمالهم. بعد ذلك علمت بوجود أحد خريجي جامعة كولومبيا، الذي درس اللغة الإنجليزية، لكنه رفض الالتحاق بفصل دراسي مع سعيد لأن حاخامه صوره له على أنه الشيطان المتجسِّد. الطالب، الذي تابع دراساته العليا في جامعة إيموري، اكتشف أخيرا حقيقة سعيد. وبالفعل، شعر الطالب بالذنب الشديد تجاه سوء فهمه لدرجة أنه عندما قام إدوارد سعيد بزيارة إيموري حاول الأخير الاعتذار لسعيد بالانحناء للخلف لإقناع سعيد بالسماح له باصطحابه إلى المطار.

وفي موقف متطرف آخر، فيما خص الانفتاح، كان هناك طالب في المدرسة الثانوية من برونكس "Bronx" (أحد أحياء نيويورك – المترجم)، قد أجرى في عام 2010 اختبار المستوى المتقدم في اللغة الإنجليزية "Advanced Placement – AP"5. تضمن الامتحان اقتباسا من سعيد جاء فيه: "المنفى أمر مثير للاستغراب حين التفكير فيه، لكن تجربته مروعة. إنه الصدع غير القابل للشفاء، الفاصل بين الإنسان وموطنه الأصلي، بين الذات وموطنها الحقيقي: حزنه الأساسي لا يمكن التغلب عليه أبدا". لم تكن هناك إشارة إلى إسرائيل أو فلسطين في المقطع. لكن مجرد ذكر اسم سعيد دفع الطالب إلى الاعتراض على السؤال، واصفا إياه بأنه "يعكس الاستخدام الواسع النطاق للتعليم والاختبارات كمنصة للدعاية المناهضة لإسرائيل".

قبل كل شيء، كان التزام سعيد الأعظم بالنزعة الإنسانية، التي عرّفها بأنها محاولة "لحل قيود بليك6 المصوغة من قبل العقل حتى يتمكن المرء من استخدام عقله تاريخيا وعقلانيا لأغراض الفهم التأملي والكشف الحقيقي". إن اعتناق النزعة الإنسانية يعني رفض سلطة الدولة باسم الفكر النقدي. إنها تعني، كما كتب في آخر سنوات حياته، "عملية لا تنتهي من الكشف والاكتشاف والنقد الذاتي والتحرر". لقد كان سعيد ينظر إلى الإنسانية باحترام كبير لدرجة أنه اعتبرها "المقاومة الوحيدة، أود أن أذهب إلى حد القول، المقاومة الأخيرة التي لدينا ضد الممارسات اللاإنسانية والمظالم التي تشوه التاريخ البشري". هذا الاقتباس تم نقشه على لوحة جدارية تم تصبها في جامعة ولاية سان فرانسيسكو تكريما لسعيد.

إن الإنسانية لا تتعلق بالالتفاف حول عَلَم أو الفزعة لحظتها "في الحرب الوطنية "، كما قال سعيد ذات مرة. لا يتعلق الأمر بوضع كعكة تحتفي بالحرمان والنفي، بل يتعلق بما يوحدنا كبشر على هذا الكوكب الأزرق الشاحب: ارتباطنا بالمكان؛ اتصالاتنا مع بعضنا البعض؛ قدرتنا على الشعور بالعاطفة وخوض تجربة إنسانية أساسية في مواجهة أي اختلافات قد تكون لدينا".

الهوامش

بيت عبادة ودراسة يهودي ومكان لملتقى المجتمع اليهودي المحلي – المترجم).

عالم اللسانيات وأحد أبرز الفلاسفة المعاصرين على مستوى أمريكا والعالم. وهو أيضا يهودي بَالمناسبة، لكنه منحاز بشكل مطلق للشعب الفلسطيني وقضيته العادلة – المترجم).

كان حاخاما أمريكيا وزعيما صهيونيا، أسهم بصورة شخصية في حشد الدعم الأمريكي لتأسيس دولة إسرائيل، واعتبر المستوطنات وسيلة لحماية التراث اليهودي.

جدل صاخب أقرب الى العراك الأيديولوجي الفوضوي – المترجم.

اختبارات يتم تنظيمها من قبل مجالس الكليات في الولايات المتحدة، ويتقدم الطلاب لاجرائها في شهر مايو من كل عام؛ وتعد تتويجا لدورات المستوى المتقدم التي تستمر لمدة عام، والتي يتم تقديمها عادةً على مستوى المدارس الثانوية – المترجم.

وليام بليك (William Blake، 1757–1827)، شاعر ورسام وصانع مطبوعات انجليزي. ورغم شاعريته ورسوماته الفلسفية البالغة العمق، ورغم علاقاته وصداقاته مع بعض شعراء وفلاسفة وفناني عصره، الا أنه لم يحظَ طوال حياته بما يستحقه من اهتمام وتقدير. بل إن معاصريه، لأسباب غير مفهومة، اعتبروه مجنوناً بسبب آرائه المميزة. لكن بعد مرور سنوات طوال على رحيله، اكتشف الانجليز فجأة أنهم فقدوا نابغة عصره وما بعد عصره، فتحول الى شخصية فريدة في تاريخ الشعر والفنون البصرية، لاسيما فيما يسمى العصر الرومانسي "Romantic Age" (يغطي الفترة من 1798 الى 1837، حيث امتد أثره ليعم البيئات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، استلهم خلالها العديد من الكتاب ابداعاتهم من الثورة الفرنسية). وفي عام 2002، حل بليك في المرتبة 38 في استطلاع بي بي سي لأعظم 100 شخصية بريطانية، وصار يحظى بتقدير كبير من قبل النقاد والقراء اللاحقين بسبب تعبيره وإبداعه الفلسفي والصوفي الذي ميز أعماله. حتى عبارته الشعرية الشهيرة "أغلال العقل المزورة" (Mind Forged Manacles) التي وردت في قصيدته الشهيرة "لندن"، والتي استحضرها تيد شتاينبرغ، نقلا عن إدوارد سعيد، في مقالته، تحولت الى موضع دراسات وأبحاث ورسائل أكاديمية. بالنسبة لوليام بليك، فإن "الأغلال المصطنعة للعقل، ليست سوى القيود الذاتية التي يضعها الانسان على نفسه فيحبس أحلامه ويتهيب من مقاربة أهدافه، فيغل حركته ويمنع خياله البشري. وهو إذ يفعل ذلك إنما هو يتصرف بناءً على آرائه ومخاوفه المسبقة التي يفترضها في مخيلته الذهنية.

https://web. ،2002 December 4 ،Great Britons 100 BBCi. The Top
http://www.bbc.co.uk/history//20021204214727/archive.org/web
./programmes/greatbritons/list.shtml

رأيتُ غزّة

أعادتني الأحداث الدامية التي نمرّ بها الآن، ولم استخدم تعبير (يمرّ) بها أهل فلسطين، لأني ما زلتُ مع الذين يعتبرون فلسطين قضيتنا وكرامتنا جميعاً، وليس قضيتهم وحدهم، كما نراهم يواجهونها الآن لوحدهم وبشجاعة وصبر أذهلا العالم الغربي المزدوج المعايير، والعالم العربي الذي برع بصمته وقوّة تحمله على السكوت.

حميد الملا

من الصعب أن يعثر القارئ على سيرة تجمع بين الخاص والعام كهذه السيرة لما تحتويه من عناصر مؤثرة وبلغة رشيقة، زاوجت بين الأدب والسياسة بأسلوب راق جداً، كتاب لن تبارحه قبل أن تبلغ نهايته لأسلوبه الشيق والنّص المحكم الذي كُتب به.

أعدتُ قراءته للمرة الثانية هذه الأيام أثناء الحرب على غزّة فرأيت مناسباً أن أغيّر عنوان الكتاب، فالمهم هي فلسطين بجميع مدنها وقراها: رام الله، غزة، القدس، نابلس، البيرة، الجليل، يافا، حيفا، عكا، الضفة الغربية، رفح، جباليا، خان يونس، بيت لاهية، بيت حانون، طولكرم، دير البلح، حي الشجاعية، حي الشيخ رضوان، حي الزيتون، حي التفاح، تل الهوى، مخيم الشاطئ، حي الكرامة، مستشفى المعمداني، مجمع ناصر الطبي وغيرها من المدن والحارات والأزقة والمخيمات، والمجمعات والمستشفيات الطبية، الأسواق الشعبية، المدارس، الحضانات، المساجد، الكنائس.

لا يهمّ، فالقتل الإسرائيلي يطالهم جميعاً والدّم الفلسطيني يسيل فيها كلها، والتنكيل والتعذيب يطال الفلسطينيين أينما حلوا أو ارتحلوا، فهم في مرمى الصهاينة بكل ما أوتوا من صلف وعنهجية وهمجية وغرور، فكل تلك الأمكنة أهداف ميدانية مشروعة للعدو الصهيوني الجبان ولآلته العسكرية.

مازالت غزّة تحت نيران الاحتلال رغم مضي قرابة ثلاثة شهور على هذه الحرب المدمرة، ولم يبق شيء الاّ ودُمر، لم تبق حرُمات الاّ وانتُهكت، لم يبق شيخ أو طفل أو امرأة الاّ وقتل أو جرح والعالم يتفرج على هذه المذابح وكأنما الإنسانية أصبحت مثالاً حياً على انعدام الأخلاق والتواطئ مع وحشية المحتل. فالصهاينة كالعلق الذي يمتص الدماء، أوغاد يسرقون كل شيء حتى الموتى إن تسنى لهم ذلك دون أن تهتز ضمائرهم، إنهم قطعان متوحشة لا يأبهون بصرخات العُزل حتى وهم يلفظون أنفاسهم الأخيرة.

الشهور تمضي على هذه المجازر والاحتلال الإسرائيلي غير قادر على تحرير المخطوفين رغم كل آلة الحرب العسكرية والجنود المدججين بكل تلك الأسلحة الفتاكة والدعم اللامحدود من الامبريالية الأميركية والغرب المنافق. إنها غزّة، مقبرة للغزاة ودرس للعالم على قوة وبسالة المقاومة وإيمانها بقضيتها العادلة، ولا شيء ولا أحد بقادر على كسر إرادة شعب قرّر أن يخوض غمار معركته معتمداً على نفسه لتحرير أرضه كما هو حال الإنسان الفلسطيني، فقد أبهر العالم كله بهذا الصمود الأسطوري رغم كل هذه الخسائر، فقد توضح من خلال هذه الحرب بأن اليد الطولى هي للمقاومة، فهم يعرفون دهاليز كل الأماكن والممرات والمخابئ والمتاهات كراحة أيديهم،

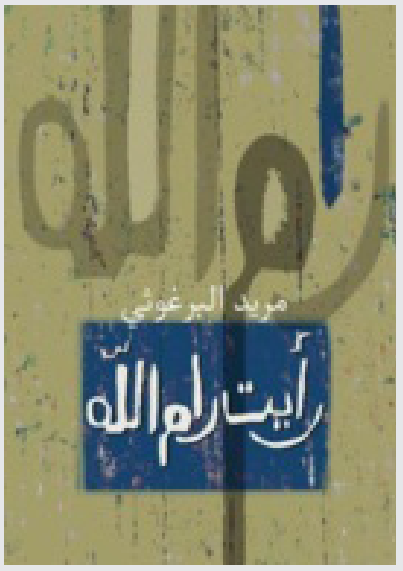

فذلك عالمهم السري، وما القتلى من الضباط والجنود الصهاينة الاّ دليل على بسالة هؤلاء المقاومين وبأسهم وشجاعتهم وقوة إرادتهم.

كلما أصرّ الكيان الإسرائيلي على دفن القضية الفلسطينية يخرج المارد الفلسطيني من تحت الرماد ليعيدها إلى الواجهة كما هو حاصل الآن فقد عرّف شعوب العالم بقضيته وحرّك مشاعرهم ولذلك نرى مقدار التضامن العالمي وحركة الشعوب المساندة لقضيته العادلة. فإسطورة إسرائيل الديموقراطية التي كانت راسخة لدى الكثير من الشعوب وبالخصوص الغربية تهاوت بأكملها وأصبحت سمعتها في الحضيض، بعد كل ما قامت به من تدمير وقتل وتهجير للفلسطينيين في حربها على غزة.

لاحظ مريد البرغوثي عن حق معاناة الشعب الفلسطيني في زيارته لمسقط رأسه في دير غسانة برام الله وكيف أنّ المستوطنات تلطخ وتشوه ما تبقى من فلسطين «إنها ليس قلاعاً من الليجو أو الميكانو التي يلهو بها الأطفال ...إنها إسرائيل ذاتها. إنها إسرائيل الفكرة والإيديولوجيا والجغرافية والحيلة والذريعة.. إنها المكان الذي لنا وقد جعلوهُ لهم».

ويقول أيضاً: «في نكبة 1948 لجأ اللاجئون إلى البلدان المجاورة كترتيب «مؤقت» ...تركوا طبيخهم على النار آملين العودة بعد ساعات! ..انتشروا في الخيام ومخيمات الزنك والصفيح والقش «مؤقتًا». حمل الفدائيون السلاح وحاربوا من عمّان «مؤقتاً» ثم من بيروت «مؤقتاً» ثم أقاموا في تونس والشام «مؤقتاً». وضعنا برامج مرحلية للتحرير «مؤقتاً». وقالوا لنا إنهم قبلوا اتفاقية أوسلوا «مؤقتاً».. الخ الخ. قال كل منا لنفسه ولغيره «إلى أن تتضح الأمور».

أما في هذه الحرب على غزة فلربما رأى مريد البرغوثي غير ذلك، فكل ما هو مؤقت أصبح في طي الماضي وما عاد يفيد مع هذا الكيان الغاصب إلا التحرير بقوّة السلاح وبالمقاومة، لا بالاتفاقيات التي لا تُحترم من قبل هذا الكيان المسخ الذي لا يعترف بأي قانون أو أية اتفاقية، فلمنظمة التحرير الفلسطينية حصتها من الأخطاء عندما وقعت اتفاقية أوسلو في العام 1993 والتي لم تؤد إلى سيادة فلسطينية حقيقية على غزة والضفة الغربية ولا إلى سلام ومصالحة بين اليهود والعرب، بل زادت من معاناة الشعب الفلسطيني وزيادة وتيرة القتل والاعتقالات وقضم المزيد من الأراضي الفلسطينية، بل إن «عملية السلام» كما كان يطلق عليها هي عملية تضليل وهذه التسمية «خاطئة بشكل مخيف» على حد تعبير المفكر الفلسطيني إدوارد سعيد.

ماذا تحمل الأيام لغزّة ولفلسطين بشكل عام بعد أن تنتهي هذه الحرب المجنونة؟

سؤال مطروح على الفلسطينيين أولاً، وعلى المجتمع الدولي ثانياً: هل بمقدورهم استئصال المقاومة وهي المتجذرة عميقاً في الأرض ومحاطة بشعب جبار لا يهدأ ولا يستكين حتى ولو دمّروا ما دمّروا وقتلوا ما قتلوا فهو باق ما بقت شجرة الزيتون، فه هي الكمائن تُنصب لجيش الاحتلال والقتلى بالعشرات والمخطوفين الإسرائيليين تحت رحمة المقاومة ولا سبيل لتحريرهم إلا بشروط المقاومة: وقف الحرب ومن ثم التفاوض، فكل هذا الدمار الهائل لم يُحرر أسيراً واحداً، هذا هو الشعب الفلسطيني يلقن الصهاينة درساً لن ينسوه أبداً وسيظل يؤرقهم طالما بقوا في أي شبر من أرض فلسطين المغتصبة.

الشعور بالمرارة من شدّة ما وقع على غزة أمر مفروغ منه، ولكن هي ضريبة الحريّة والتحرر، فكل الشعوب التواقة للحرية تدفع هذه الضريبة الثقيلة من القتلى والجرحى والدمار والشتات الذي لم تنجُ عائلة فلسطينية منه. هنا في غزة كنت أتأمل الحال كما تأمل مريد البرغوثي رام الله بالعين مع كل مشهد قتل ودمار تكون الحقائق عن الاحتلال وهمجيته وتوحشه تجسيداً لا تجريداً «تبني ذاتها على تراب الواقع، لا على سراب الأفكار المسبقة» والقول لمريد، فمن منا لم ير غزّة إذن بعد كل هذا الدمار والخراب الذي أحدثه الغزاة الصهاينة؟.

المقاطعة فعل مقاومة وتغيير

في منتصف الثمانينات استيقظ أهالي لندن والعالم على خبر يقول إن دعاة حماية الحيوان قاموا بتسميم قطع شيكولاته «مارس» الشهيرة الموجودة على أرفف مخازن الأغذية والبيع في كل مكان، وشركة مارس المتحدة شركة أمريكية متعددة الجنسيات، تنتج مصانعها السكاكر وأطعمة الحيوانات الأليفة، وكان الهدف من هذه الحركة هو معاقبة الشركة على استخدامها للحيوان في تجاربها المعملية، وعلى إثر ذلك قامت الشركة بسحب كل منتجاتها الموجودة في الأسواق حماية للمستهلك وخشيّة من من تضرر سمعتها، وفي فترة وجيزة من هذه الواقعة هبطت مبيعات الشركة العملاقة بشكلٍ كبير.

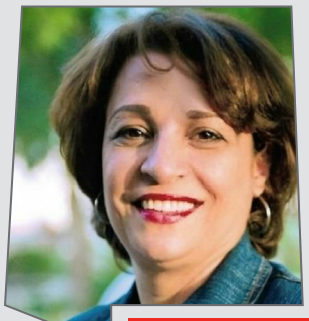

عصمت الموسوي

ولأن سوق الشرق الأوسط ومنطقة الخليج تعدّ سوقاً مهمة لهذا المنتج، فقد تلقيتُ وقتها دعوة مدفوعة التكاليف لزيارة مصنع «مارس» في لندن وتغطية الحدث صحفياً، تجولنا في المصنع وشاهدنا مراحل التصنيع المختلفة. طرنا على مقاعد الدرجة الأولى وأقمنا في أحد فنادق العاصمة البريطانية ذات الخمس نجوم، وتناولنا وجباتنا في أشهر وأفخر المطاعم، وتعدّ هذه واحدة من أغلى الرحلات الصحفية في حياتي المهنية، ولا عجب فشركة «مارس» المتحدة الخاصة تبلغ عائداتها بالمليارات وتنفق الملايين سنويا على وسائل الدعاية والإعلان، والرحلة كانت إحدى الوسائل للوصول إلى المستهلك الخليجي عبر الإعلام واستعادة الشركة لاسمها وسمعتها في السوق مجدداً.

تذكرتُ هذه الحكاية وأنا أرى وأسمع كل يوم هذا الانتشار الواسع لحركة المقاطعة العربية والعالمية على وقع الحرب عل غزّة، وتضامناً مع آلاف المدنيين الذين يتساقطون تحت ضربات القصف الوحشي الأهوج، والذي يرمي إلى إبادة سكّان قطاع غزّة وتهجيرهم تمهيدا لإعادة احتلال الأرض. غزّة كما تشير التقارير الاقتصادية، وقبل السابع من أكتوبر، لا تزرع الزيتون والليمون فحسب بل تحتوي على موارد اقتصادية كامنة في البر والبحر، وأن مخطط الاستيلاء عليها واحتلالها قديم ومعلن منذ فترة ليست بعيدة.

وعودة إلى المقاطعة ذات الدوافع الوجيهة والمعنيّة بوقف إبادة شعب يقاوم ويدافع عن حقوقه، فالواقع يثبت أن هذه المقاطعة لإسرائيل والولايات المتحدة والدول الغربية الداعمة والمنحازة للكيان الإسرائيلي أصبحت مقاطعات ممنهجة ومدروسة ومتنوّعة، وعلى مختلف المنصات الإليكترونية، بل هي أشمل وأعظم من مجرد حركة مضادة للحرب، أو لتسجيل موقف سياسي معارض، إذ تحوّلت إلى حرب اقتصادية موازية للحرب العسكرية، وقائمة بذاتها يشنّها العالم على إسرائيل وداعميها، وهي موجعة وتحقق الخسائر الفادحة للشركات يومياً من أجل دفع صاحب القرار للتحرك، ولتغيير المواقف الرسمية المساندة لإسرائيل، وسوف تحتاج هذه الشركات راهناً ومستقبلاً إلى مبالغ فلكية من الدعاية والإعلان للعودة إلى الأسواق مجدداً، وهو ثمن باهظ جداً يقتضي تغيير المواقف وإجبار إسرائيل على الامتثال للقانون الدولي ولقرارات الشرعية التي انتهكتها منذ ولادتها ولغاية اليوم.

وفي كل يوم تمنحنا وسائط الإعلام البديل ومواقع الإنترنت وصنّاع المحتوى الإلكتروني المزيد من الأسماء والمنتجات مع إيجاد بدائلها وأمثالها. إنّ فعل المقاطعة الذي نتمنى أن يكون مستداماً ودائم الحيوية والنشاط يثبت أن لا طعام ولا دواء ولا حتى تكنولوجيا يصعب الإستغناء عنها أو خلق بديل لها إلا فيما ندر، بل أنّ هذه المقاطعة تشكّل ضغطاً وتعدّ دافعاً لكسر الاحتكار وللتغيير وللابتكار والتصنيع وتجويد المنتج المحلي وعدم الاستسلام أو الركون لما هو متوفر ومتاح وسهل. إنها مناسبة للاستدارة عن التنميط والامتثال والرضوخ الاستهلاكي وللتفكير خارج صندوق النهج الرأسمالي ووسائله في إحكام السيطرة على الشعوب، وعلى سبيل المثال فقد حقق المنتج الغذائي المحلي المصري نجاحاً فائقاً في أعقاب المقاطعة الاقتصادية لعددٍ من المنتجات الغربية، بل ساهم في توسيع المصانع مضاعفة توظيف العمالة الوطنية.

لقد اعتدنا في حياتنا على استهلاك نفس المنتجات في الغذاء والملابس والدواء ووسائل الحياة الأخرى، حتى بدا أننا موالون إلى درجة العبودية، وغير قادرين على فعل أي شيء مغاير ومختلف، فيما المقاطعة الاقتصادية استخدمت دوماً كمقاومة سلمية ومشروعة في الحروب غير المتكافئة، وهي أثبتت أنّ الناس والمدافعين عن أرضهم وحقوقهم ليسوا ضعفاء ومنزوعي السلاح، بل أن لهم حوّل ولهم قوّة.

"إنّ الشرق الأوسط سوق مهم جدا لمنتجاتنا" – ذلك ما قاله خبير مصنع «مارس» على إثر تدهور مبيعات الشوكلاته الشهيرة قبل أربعين عاما دفاعاً عن حقوق الحيوان، وهي تتكبد اليوم خسائر مضاعفة لأن المستهلك العربي أدرجها على قائمة أعدائه دفاعاً عن حقوق الإنسان الفلسطيني.

بسبب المقاطعة..
خسائر مليارية لشركات غربيّة *

تقرير: طه العاني:

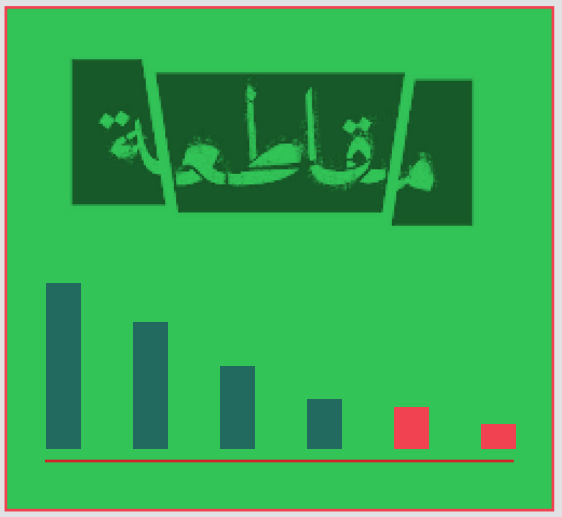

خسائر مليارية مع تواصل عدوان الاحتلال الإسرائيلي وعلى مدى أسابيع متتالية في قطاع غزة، والذي نتج عنه استشهاد أكثر من 17 ألف مدني وإصابة نحو 46 ألف شخص، استمرت الشعوب العربية والإسلامية تطلق حملات متعددة تدعو إلى مقاطعة جميع المنتجات الإسرائيلية أو الأجنبية التي تدعم الاحتلال.

وشهدت المنصات العربية دعوات وحملات لمقاطعة بعض العلامات التجارية العالمية، والبحث عن بدائل محلية وعربية، وهو ما عرّض الكثير من تلك الشركات لخسائر كبيرة تقدر بالمليارات.

وكانت آخر الحملات قد وجهت نحو العلامة التجارية الإسبانية "زارا" بسبب تصاميم تضمنتها تشكيلتها الجديدة التي أطلقتها يوم الخميس الماضي، واعتبرها ناشطون مستوحاة من العدوان في غزة وداعمة للاحتلال.

وظهر في إعلانها الجديد صور لعارضة أزياء وهي تحمل كفناً على ما يبدو، وفي صورة أخرى ظهرت من داخل صندوق محطم وكأنه تابوت وأمامها ما يظهر كجثة في كيس موتى.

وانتشر على نطاق واسع وسم "#مقاطعةزارا" باللغتين العربية والإنجليزية، وتصدر قائمة الترند في بعض الدول العربية، فيما رمى بعض الناشطين ألبستهم من "زارا" في سلة القمامة.

وإثر الغضب من الجماهير سارع حساب "زارا" إلى حذف المنشور ومنشورات أخرى، فيما يبدو خوفاً من فقدان المزيد من الجماهير.

خسائر بالمليارات

ومع زيادة الوعي والفهم لدى الشعوب لنتائج المقاطعة، شهدت الفترة الماضية انخفاضاً في أرباح الشركات الشريكة والداعمة للاحتلال، والتي تكبدت خسائر فادحة في بلدانها.

ومن أبرز الشركات التي تكبدت خسائر كبيرة، سلسلة مقاهي "ستاربكس" الأمريكية، حيث تقدر خسارتها بأكثر من 12 مليار دولار خلال 20 يوماً فقط، مع تزايد مخاوف المستثمرين بشأن تباطؤ المبيعات والمقاطعة في الشرق الأوسط.

وبحسب بيان الشركة الرسمية، الصادر في 6 ديسمبر الجاري، تراجعت أسهم "ستاربكس" إثر تراجع أرقام المبيعات بأكثر من 1٪، وهو أكبر خسارة للشركة منذ الاكتتاب العام في عام 1992.

كما فقدت الشركة أكثر من 10٪ من قيمتها منذ منتصف شهر نوفمبر الماضي، عندما ترك آلاف العمال وظائفهم في الولايات المتحدة، وفق وكالة "الأناضول».

وأضرب العمال في مئات الفروع لـ"ستاربكس" بالولايات المتحدة الأمريكية عن العمل، في 16 نوفمبر الماضي، مطالبين بتحسين ظروفهم، وأيضاً بعد أن رفعت الشركة دعوى قضائية ضد نقابة العاملين بها بذريعة "مناصرتهم لفلسطين».

أثر كبير

وأثّرت حملات مقاطعة المنتجات الداعمة لـ»إسرائيل» بشكل كبير على حركة مبيعات الشركات العالمية، التي أطلقت على وسائل التواصل الاجتماعي.

وشهدت هذه الشركات تراجعاً حاداً في حصصها البيعية داخل السوق العالمية، وواجهت بعضها خسائر فادحة نتيجة المقاطعة المستمرة من قبل المستهلكين.

ولا تقف حملة المقاطعة عند علامة تجارية أو اثنتين، فقد شملت العديد من العلامات حول العالم منذ بدء العدوان الإسرائيلي على غزة، واستهدفت العديد من الشركات المصنّفة على أنها داعمة للاحتلال، أو أعلنت صراحةً دعمها للجيش الإسرائيلي.

وبدأت آثار مقاطعة الشركات الغربية تظهر بشكل واضح، خاصة في الانخفاض الكبير للإقبال على مطاعمَ ومقاهٍ مشهورة مثل "ستاربكس" و"ماكدونالدز».

وقد نقلت وكالة "رويترز" تصريحاً لموظف في أحد مطاعم "ماكدونالدز" في مصر على سبيل المثال، أكد فيه أن "مبيعات ماكدونالدز في مصر في شهري أكتوبر ونوفمبر الماضيين انخفضت بنسبة 70٪ على الأقل مقارنة بالفترة نفسها من العام الماضي».

وفي ماليزيا أيضاً، وفقاً للتقارير الواردة من الوكالة نفسها، صرح أحد العاملين في أحد فروع "ماكدونالدز" في "بوتراجايا"، العاصمة الإدارية للبلاد، بأن الفرع الذي يعمل فيه يواجه تراجعاً في عدد العملاء بنسبة تصل إلى 20٪.

وحسب الخبير في مجال الإشهار والتسويق، تييري بوكارت، فإن المقاطعة عملية فعالة جداً، ولها "جانب قصير المدى وهو الذي يمس حجم المبيعات».

ويضيف بوكارت أن "هناك جانباً طويل المدى للمقاطعة، والذي يكون في بعض الأحيان أكثر ضرراً، إذ يمس بسمعة وصورة العلامة التجارية لمدة طويلة».

مقاطعة خليجية

وسارعت معظم دول الخليج إلى مقاطعة المنتجات والعلامات التجارية التي تدعم الاحتلال الإسرائيلي، وهو ما شكل ضربة قاسية لتلك المنتجات، خاصة أن هذه الدول تعد من أكثر الأسواق استهلاكاً في المنطقة.

وفي الكويت، بدأ بعض الناشطين حملة كبيرة تحت شعار "هل قتلت اليوم فلسطينياً؟"، تشير إلى أن شراء منتجات الشركات الداعمة للاحتلال الإسرائيلي يعني المشاركة في قتل الفلسطينيين.

ويعتبر عضو "حركة مقاطعة الكيان الصهيوني" في الكويت، مشاري الإبراهيم، أن "ردود الفعل الغربية بعد العدوان الذي استهدف غزة عززت انتشار المقاطعة في الكويت، وولدت صورة ذهنية لدى الكويتيين بأن شعارات الغرب وما يردده عن حقوق الإنسان لا تشملُنا».

وفي دولة قطر اضطرت بعض الشركات الغربية إلى الإغلاق بعد أن قامت إداراتها بنشر محتوى مؤيد لـ"إسرائيل" على شبكات التواصل.

ومع توسع حملات المقاطعة في سلطنة عمان، قال مفتي السلطنة، الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، في 16 نوفمبر الماضي، إن سلاح المقاطعة "من أمضى الأسلحة وأنجحها في إخضاع العدو"، مشيراً إلى أنه لا يحتاج إلى إذن ولي الأمر.

وأشار الخليلي إلى أن "العدو المحتل لم يجترئ على عدوانه إلا بمساعدة من حلفائه والخونة من أمتنا الذين لهم مصالح في بلاد المسلمين».

* نقلاً عن موقع "الخليج أون لاين"

غزّة حررت الناس من الأوهام

حـــريّـــة علـــى طـــريقـــة أخـــرى

كنا قلقين في فترة من الزمن عن الطريقة التي يمكن أن نشرح فيها مظلومية الشعب الفلسطيني وأحقية قضيته للجيل الجديد في ظل تنامي دعايات التطبيع والترويج له على المدى الواسع، إلا أن الحرب على غزّة ووحشية الإحتلال التي فاقت التصور ولا أخلاقياته تكفلت بكشف حقيقة الأمر للجيل الجديد والعالم بأسره عن بشاعة الإحتلال وسقوط سرديته الخرافية في مقابل السردية الفلسطينية العريقة. نمرُّ في الوقت الراهن بمرحلة مفصلية على مستوى الوعي بحقيقة ما حدث على الشعب الفلسطيني، حيث يحاول الجيل الجديد تقديم أي شيء من أجل نصرة الشعب الفلسطيني وإيصال صوته للعالم وهو يبرع في استخدام أدوات التواصل والتكنولوجيا الحديثة. هذا الوعي على مستوى الأجيال الحديثة بالقضية الفلسطينية والإلتفاف حولها غير مسبوق.

حسين آل ربيع

بتنا ندرك أن جيل اليوم يمتلك وعياً مناسباً للظرف الراهن عن حقيقة القوى الإمبريالية ونظامها الرأسمالي النفعي القائم على أسس المنفعة الإقتصادية وعلى نظرية السوق الحرة التي تغرق العالم بشتى صنوف السلع الإستهلاكية النافعة والضارة وعرقلة الصناعات المحلية للدول النامية ومحاربة اقتصاداتها، وذلك بغرض السيطرة على الصناعة والإقتصاد العالمي وفرض تلك القيَم على شعوب العالم لجعلهم شعوباً تعتاش على الإستهلاك المفرط لكل المنتوجات التي تأتي من الأنظمة الرأسمالية بشتى الطرق والوسائل منها التفنن في الدعاية والترويج المغري، من باب الغاية تبررالوسيلة!

«غزّة حررتنا"!. كُثر هم الذين يرددون هذه العبارة، في ظل القصف الجنوني على القطاع وبسالة أهلها ومقاومتها، حيث انتشر وعي من نوع مختلف أثرّ في الكثيرين، غزّة لم تحررنا من سطوة الاستهلاك المفرط وتهافت فكرة التطبيع إنما حررت الكثيرين حول العالم من الشرق إلى الغرب، بل وحتى في قعر الرأسمالية نسمع ونرى من يقولون إن غزّة حررتهم وأشعلت فيهم النزعة الإنسانية من جديد بعد أن خبا هذا الحس بفعل الفردانية الزائدة والتي هي نتاج الثقافة الرأسمالية أيضاً.

الكثير من هذه الشعوب اليوم باتت تحفظ السردية الفلسطينية ولايخشى التعبير عن آرائها رغم التضييق والتهديد، وتعبرو بصراحة عن عدم ثقتها بإعلامهم ومايبثه من تضليل. نسمع عن حملات ينظمها شباب في أمريكا تنادي بعدم دفع الضرائب لأن هذه الضرائب تمول حروب الإبادة التي تقوم بها إسرائيل وأمريكا، وعدم دفع الضرائب قد يؤدي إلى مشاكل كبيرة على مستوى الإقتصاد الأمريكي القومي، وبالتالي قد تحد من دعمها لإسرائيل. تبرز اليوم في أمريكا وأوروبا تنظيمات أهلية ووطنية تطالب بمقاطعة الشركات الكبرى الداعمة لإسرائيل أو االتي تموّل حربها مادياً أو لوجستياً، وبدأت فعلاً حملات المقاطعة ولها نتائج مهمة، من أهمها أن هذه الشركات وغيرها صارت تعلم أن من يدعم الكيان الغاصب سراً أو علناً مكشوف وغير مرحب به على مستوى شعوب العالم.

أما عن شعوبنا في المنطقة فهي أيضاً بدأت منذ الأيام الأولى للحرب تكشف الشركات الداعمة لإسرائيل وتقاطعها، وبدأوا بالفعل يبحثون عن بدائل عن تلك المنتجات ومنهم من توصل الى قناعة بترك العادات القديمة التي كانت متبعة قبل الحرب على غزّة وبالتالي ترك الاعتماد الكلي على الكثير من المنتوجات الأمريكية التي في غالبها غير صحي.

لكن ماذا عن كبار التجار والمستثمرين هل أنهم حريصون على قطع العلاقات التجارية أو تقليل الإعتماد عليها إلى الحد الأدنى والبحث عن بدائل وأفكار جديدة، أم أن الوضع لايزال طبيعياً عندهم أو الإكتفاء بالتباكي والإستعطاف؟!

من الملاحظ أن التجار وأصحاب الوكالات والعلامات التجارية التي تمت مقاطعتها بدأوا – مؤخراً – بإدراك ضرورة البحث عن بدائل، غير أن البعض بدلاً من ذلك راح يستعطف الناس ويبث لهم شكواه من تأكد تعرضه للخسارة، والبعض الآخر صار يعزف على وتر الإنسانية وعن احتمالية خسارة الموظفين لوظائفهم. فعلاً هذا أمر محزن حقيقةً ولابد من وجود حل. لو لاحظنا أن معظم التجار المتباكين على أنفسهم وعلى الموظفين – هذا إن كانوا فعلاً حريصين على مصلحة الموظف – يمتلكون مشاريع أخرى بإمكانهم أن يوظفوها أو أن يبتكروا بدائل أو أن يساهموا على الأقل في دعم المنتج المحلي والمؤسسات الكثيرة التي تحتاج الى مستثمرين حقيقيين والفائدة ستكون للطرفين وللمستهلك أيضاً إذا قُدم المنتج بأسعار متاحة للجميح دون تخصيصه لفئة أو طبقة استهلاكية خاصة. أما أن تجلس وتتباكى على «البراند» الداعم للكيان المحتل الذي جلبته والذي تروِّج له فإن ذلك التباكي لن يؤدي بك الى نتيجة تذكر، وانك ربما عن طريق الخطأ وظفت أموالك في شركات تدعم الإبادة الجماعية الحادثة في غزّة، كفكف دموعك فالفرصة لاتزال متاحة لأن ترفع يدك عن تمويل قتلَة الأطفال وابحث عن تجارة أخرى فالباب مفتوح والأفكار كثيرة وأموالك ليست قليلة، ثم عليك أن تدعم الموظفين الذين تضرروا.

تعمل القوى المهيمنة اقتصادياً على احتكار السوق وإغراقه بمنتجاتها وعدم السماح لغيرها بالإستقلال الصناعي والتجاري، وأن عدم امتلاكنا لمنتوجات محلية كافية لتلبية حاجات السوق ربما يكون سببه أيضاً أننا اعتدنا على استهلاك الكثير من المنتوجات التي تأتينا من الخارج بفعل الدعاية مرةً، وجودة بعض المنتجاة مرةً أخرى، لذلك قد نجد صعوبة في مقاطعة كل المنتجات لعدم وجود بدائل لها لكن المقاطعة حرية على طريقة أخرى ومعارضة ورفض، فهي تُمارَس بقدر الإمكان وأن أحد أبرز نتائجها الحَد من فرط الإستهلاك والوعي قبل الشراء والدفع، والوعي بالمصلحة الشخصية والمصلحة العامة. أنت مهم ومقاطعتك حتماً مؤثرة حتى وإن كان تأثيرها يقتصرعلى ذاتك في سبيل تحريرها وسمّوها، وهذه أعلى مستويات المقاطعة، يرى أقطاب التصوف أن الزهد مرحلة مهمة من مراحل سمّو النفس ومعارضة واحتجاج غير مباشر على سلوك الترف الذي يتميز به الأثرياء، والزهد بمعنى التخلي عن الكثير والرضا بالقليل المتاح هوالمقاطعة وهو مقاومة ومعارضة للظلم والإستبداد العالمي.

الـــــرئيس الأفـــــــاك

جلال إبراهيم

في اللغة، الأفاك من الإفك وهو الكذب. والأفاك صيغة مبالغة من أفّاك. يقال فلان أفاك، أي كثير الكذب. وفي القرآن الكريم ورد في سورة الشعراء الآية 222 إلى أن الشياطين، «تنزل على كل أفاكٍ أثيم». وفي السياسة ما أكثر الأفاكين!

المتابع لتصريحات الرئيس الأمريكي جو بايدن منذ بداية الحرب على غزة وما فعلته آلة الحرب الإسرائيلية الوحشية والمدمرة بحق البشر والشجر والحجر، لا يجدها فقط منحازة بالكامل لصالح الكيان الصهيوني، بل أيضًا مليئة بالكذب والتزييف للحقائق.

بعد عملية (طوفان الأقصى) مباشرة أطلق جو بايدن تصريحه المثير للصحافة الأمريكية والعالمية في لقاء جمعه مع نتنياهو، حيث قال: «أنه شاهد صورًا مؤكدة لمن وصفهم (بإرهابيين)يقطعون رؤوس الأطفال في إسرائيل».

وقد تراجع البيت الأبيض فيما بعد عن صحة هذه التصريحات، إذ قال مسؤولان بالبيت الأبيض إن الرئيس الأميركي لم ير صورًا أو تقارير مؤكدة عن «إرهابيين يقطعون رؤوس أطفال» في إسرائيل، وذكرا أن تصريح بايدن بهذا الخصوص استند إلى مزاعم مسؤولين إسرائيليين.

الكذبة الأخرى التي أطلقها الرئيس الأمريكي ترويجهِ لمزاعم وافـتراءات الإسرائيليين باستعمال حركة حماس المدنيين كدروع بشرية، فضلا عن الإساءة إليهم وتعذيبهم. وكل هذه الاتهامات الباطلة من أجل قلب الحقيقة والواقع بجعل الجلاد هو الضحية، والمجرم هو البريء.

والحقيقة أن السردية الإسرائيلية مطعون في مصداقيتها ومشكوك في صحتها منذ بداية هذه الحرب الشعواء، غير أنها تعرّت بشكل كبير في الأيام الأخيرة نتيجة تلاحق التحقيقات والمؤشرات التي وضعت فوق الطاولة قرائن وأدلة تثبت كذب الاحتلال ومحاولة تزييفه للحقائق.

وأكاذيب إسرائيل المرتكزة أساسًا على دعم كلي من قبل الولايات المتحدة الأمريكية، بدأت منذ الوهلة الأولى للحرب الجارية، حيث ادّعت قطع رؤوس أطفال من قبل مقاومي حماس، وهو نفس الأمر الذي ينطبق على افتراءات قيام المقاومين باغتصاب بعض الفتيات والنساء الإسرائيليات أثناء اجتياح 7 أكتوبر، والتي لا تزال تروّج لها عبر شاشات التلفزيون وصفحات الجرائد وشبكات التواصل الاجتماعي.

والغريب العجيب في أمر المجتمع الـدولي هو ذلك الإصرار على الصمت أو الانحياز غير المبرّر للاحتلال الإسرائيلي، رغم أن أكاذيبه تنكشف بسرعة وتسقط في الماء، وفضائحه تتواصل وتتفاقم مع مرور الأيام، حيث لم ينجح الجيش الصهيوني في تقديم دليل واحد وبيّنة واضحة عن مزاعمه حول استعمال المقاومة للمستشفيات كمواقع عسكرية، ومراكز لاختبائها، حتى بعد اقتحام جنود الاحتلال لجل مستشفيات الشمال، وعلى رأسها مجمع الشفاء، وتفريغها من نزلائها من المرضى والنازحين منذ عدة أيام مضت، الأمر الذي أفضى إلى واقع كارثي، بسبب خروج جل المستشفيات عن الخدمة بشكل كامل، والعالم يتفرج دون أن يحرك ساكنا.

لم يخجل الرئيس الأفاك بالتغاضي عن كل جرائم الإسرائيليين بقتلهم للأطفال والنساء، وتدميرهم لمراكز الإيواء والمدارس والمستشفيات، بل هو والعديد من رؤساء دول الغرب الأوربي اعتبروها دفاعًا مشروعًا عن أمن إسرائيل و «إرهاب حركة حماس».

تشير استطلاعات الرأي في الولايات المتحدة الأمريكية إلى تراجع شعبية جو بايدين لعدة أسباب، من بينها وأهمها موقفه وسلوكه الأخير من الحرب على غزة. وينسحب الأمر ذاته على رئيس حكومة الاحتلال الإسرائيلي، فهل ستطيح الحـرب في غزة بأحلام بايدن بالفوز في الانتخابات القادمة، وبعدم استمرار نتنياهو في منصبه؟ هذا ما ستكشفه حتماً الأيام والأشهر القادمة.

أبطال الأنفاق

يخرجون من تحت، من الأنفاق ليفاجئوا أعدائهم بقذائف الـ (R.B.J) فيرتدوا على اعقابهم مخلفين قتلاهم ودباباتهم، ليقع البعض منهم في الأسر، يدخلونهم في الأنفاق، ويعدّوا لكمين آخر، وبتكرار هذا السيناريو تزداد النقمة في صفوف العدو وتزداد الانتقادات لسياسية حكومة العدو لتخبطه وغباءه، حيث تعد خططاً أكثر غباء.

قاسم الحلال

لقد فضحت هذه الحكومة وباتت مكشوفة الغباء، لكن للأسف بدل أن يفضح الإعلام العربي هذه الصورة، حيث نرى بعض أجهزته تطبل وتزمر وتجمل صورة العدو التي اصبح حتى الإعلام الغربي وعلى رأسه الاعلام الأمريكي مضطر لأن يشيد بمواقف الأبطال الفلسطينيين، وأصبح العدو مفضوحاً في هزائمه لقصفه العزل المدنيين من أطفال ونساء، وهدم البيوت على رؤوس ساكنيها قصفاً بقنابل فاقت في حجمها قنبلة هيروشيما، يا للعار والخذلان الذي يتعرض له شعبنا في ربوع غزة المنكوبة. إن كل هذا الجرم بحق الشعب الفلسطيني وفي تدمير البنية العامة لغزّة من كهرباء وماء وغاز ما هو إلا نتاج تخاذل وخيانة وسكوت وجبن وخوف ومحاباة وهروب وعدم مبالاة وعدة إحساس، ونفاق بلا حياء ولا خجل ولا حتي موقف لحفظ ماء الوجه، وتبريراً لذلك التشبث بالتاريخ الذي هو من سرديات الإمبريالية الأمريكية وحليفتها بريطانيا التي هي أساس هذه المحنة منذ (وعد بلفور)، وحتى التاريخ الذي تستمده من الحقب المفبركة وتستند عليه بدراسات يسردها الاستعمار ليبرر مواقفه في مساندة الصهيونية، ورغم ضحالة سردها للتاريخ بصورة سطحية وسهلة لدغدغة الكثير من العامة، متناسية بصورة متعمدة ومقصودة التاريخ المنصف الذي يمجد عراقة الأمم، حيث طرح الاحداث التاريخية الصحيحة.

انهم يعتمدون على تفاسير وتآويل هشة فارغة المحتوى العلمي والثقافي لأنه تاريخ يخدم مصالحهم ويسهل الحشو لخطاب يعتقدون أنه سينطلي على الشعوب، هذا ديدن المتآمرين على الأمم المناضلة التي على الدوام تناضل من أجل الدفاع عن حقوقها، ديدن الإمبريالية والصهيونية.

لقد سطرت المقاومة الفلسطينية بنضاله وسلاحها مواقف تاريخية ركعت الصهيونية التي تمتلك جيشاً مدججاً بالسلاح والعتاد، حيث هربت وقت اصطدامها بأصحاب الحق الذين يخاضوا ويخوضون مقاومة باسلة، منذ الطوفان المجلجل، طوفان الأقصى في السابع من أكتوبر 2023، جاء محملاً بغضب متراكم، يحمل كوامن مريرة مخزونة دهوراً طويلة منذ الأجداد بسلاح فقير ليواجه عدواً مدججاً بأحدث أنواع السلاح، ويملك ما يملك من التكنولوجيا العسكرية المتطورة وأجهزة التنصت الاستخباراتي المدعوم من أقوى الدول في العالم، الامبريالية الامريكية وحلفائها في حلف الناتو.

إن المبررات الاجرامية لضرب غزة ليست ثأراً، فلم تكن هذه الهجمات نتاج طوفان الأقصى، وحتى لو كانت هذه المرة هي الحرب الإسرائيلية الأعنف من حيث التدمير والشهداء واتساع رقعة التدمير التي شملت قصف ممنهج ومتعمد للمستشفيات والأماكن المقدسة كنائس ومساجد ومحطات مياه وكهرباء، لكنها لم تكن الأولى، حيث تعرض القطاع إلى عدة اعتداءات صهيونية، ففي يناير من العام 2009 شنت طائرات العدو الصهيوني غارات على شرق وشمال القطاع وحولتها إلى ركام في مذبحة بشعة خلفت 100 قتيل انتشلت من تحت الأنقاض و18 جثة من عائلة واحدة حسب تقرير مديرية عموم الإسعاف والطوارئ، وارتفع عدد الشهداء إلى 300 وأكثر من 5450 جريحاً، ومن قبلها تعرضت غزة لعشرات الغارات، وهناك تصريح لأحد وزراء العدو دعا فيه إلى استخدام السلاح النووي ضد غزّة وأهلها، ما يجعلنا نتساءل لماذا أجمع العالم على الحرب ضد المانيا النازية ولماذا شنت الحرب على هتلر؟ ها هي أمريكا تتحدى شعوب العالم وتنهك الدول المسالمة وها هي تناصر العدو الصهيوني وتزع الرعب وتصنع المنظمات الإرهابية أمثال القاعدة وداعش وتحتل البلدان بحجة مقاومة الإرهاب، تدخل البلدان بحجة الحفاظ على البيئة وهي من يعبث بالبيئة وينشر الأمراض بطرق ممنهجة في حياة البشرية والدلائل على ذلك واضحة وجلية.

يتفاقم العنف ضد المرأة خلال النزاعات المسلحة

قرار مجلس الأمن رقم ١٣٢٥ المتعلق بالمرأة والسلام والأمن

تعدّ النزاعات المسلحة واحدة من أخطر الأزمات التي تهدد حياة الإنسان، وتسبب معاناة للشعوب، حيث يتعرض الأفراد، مدنيين كانوا أو عسكريين، للإبادة الجماعية والتعذيب والاغتصاب، والدمار الشامل والخسائر في الأرواح والممتلكات الخاصة والعامة. كما ينتج عن النزاعات انعدام الأمن وتشريد المدنيين وازدياد البطالة والفقر والمجاعة وتدني فرص التعليم والرعاية الصحية.

ما زالت المرأة تتعرض للعنف القائم على نوع الجنس، وتعاني من التمييز في الكثير من مجالات الحياة. فقد تمنع من مزاولة بعض المهن أو يتم إقصائها من بعض المناصب، وقد تحصل على أجر لا يساوي أجر الرجل مقابل القيام بالعمل نفسه، وقد تتعرض للعنف داخل العائلة أو التحرش في مكان العمل. كل ذلك له عواقب خطيرة على المرأة نفسياً وصحياً واقتصادياً ويرسخ فقرها وتبعيتها للرجل.

هذا العنف يمتدّ ويتفاقم خلال وبعد النزاعات المسلحة وتظهر آثاره بشكل واضح ومباشر على النساء لأنهن أغلب ضحاياه. فالمرأة هى أكثر من يتأثر أثناء النزاعات لأنها تتحمل الظروف الصعبة في ظل الأوضاع غير المستقرة بسبب المسؤوليات الجسيمة الملقاة على عاتقها كزوجة وأم في تأمين الحياة اليومية للأسرة بسبب غياب أو فقدان الزوج، كما تزداد الانتهاكات الموجهة ضدها حيث تتعرض للاغتصاب والتهجير والاعتقال والقتل والتمييز والإقصاء.

ولحماية المرأة أثناء النزاع المسلح أصدر مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة قرار رقم 1325 في العام 2000 المتعلق بالمرأة والسلام والأمن، حيث أبرز الدور الذي تلعبه المرأة في تحقيق شروط السلام والأمن في المجتمعات الإنسانية. ويعتبر هذا القرار أول وثيقة رسمية قانونية تصدر عن مجلس الأمن لمعالجة أثر النزاع المسلح على المرأة وكيفية حمايتها أثناء وبعد النزاعات. كما ينصّ القرار على ضرورة مشاركة النساء فى صنع القرار وفى عمليات حفظ السلام وحماية حقوقهن، ويدعو كل الأطراف المشتركة في النزاع المسلح مراعاة حماية النساء والفتيات من جميع الانتهاكات والعنف الجنسي، ورفع الحصانة عن الجناة في جرائم الإبادة الجماعية والجرائم المرتكبة ضد الإنسانية.

ولقرار مجلس الأمن 1325 أربع محاور أساسية أو أهداف

دينا الأمير

استراتيجية وهي: المشاركة، الحماية، الوقاية، الإغاثة والإنعاش.

محور المشاركة: يشمل زيادة مشاركة المرأة في كافة مستويات صنع القرار في النزاعات وعمليات السلام وإعادة الإعمار.

محور الحماية: ويهدف إلى حماية النساء والفتيات من العنف الجنسي والعنف المبني على النوع الاجتماعي لاسيما في حالات الطوارئ والحالات الإنسانية. وقد نتج عن هذا المحور الأساسي قرارات إضافية بشأن حماية النساء والفتيات من العنف وهي: (1) حماية اللاجئات والنازحات من جميع الانتهاكات التي يتعرضن لها أثناء رحلة النزوح أو اللجوء. (2) حماية النساء والفتيات من العنف المبني على الجنس من خلال إصدار تشريعات تجرم العنف ضد المرأة وفرض عقوبات تتناسب مع طبيعة الجريمة ومعاقبة مرتكبيها وضمان الحق بالإنصاف وجبر الضرر للمتضررات. (3) حماية النساء والفتيات من الاتجار والتي ترتفع أثناء الحروب والنزاعات المسلحة نتيجة لإنهيار الهياكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية واشتداد حدة العسكرة وتقييد تدفقات المهاجرين. (4) الجنسية، إذ قد تفقد النساء والفتيات أوراقهن الثبوتية، ويواجهن تحديات انعدام الجنسية وما ينتج عنها من انتهاكات لجميع حقوقهن الإنسانية.

محور الوقاية: يشمل الوقاية من العنف ضد المرأة والملاحقة القضائية للمسؤولين عن الانتهاكات بموجب القانون الدولي، وتعزيز حقوق المرأة بموجب القانون الوطني، ودعم مبادرات السلام المحلية للمرأة وعمليات تسوية النزاعات.

محور الإغاثة والإنعاش: يهدف إلى ضمان إعمال تدابير تتصدى للأزمات الدولية معتمدة مقاربة النوع الاجتماعي، مع مراعاة الاعتبارات المتعلقة باحتياجات الخاصة للنساء والفتيات في مخيمات اللاجئين ومناطق استيطانهم.

وعلى الرغم من أهمية هذا القرار وقدرته على إرساء السلام والأمن فى معظم الدول، والذي حاز على اهتمام النساء في العالم ويمكن استخدامه لتعزيز مكانة المرأة في المجتمع ويفعّل ويطور من دورها ومشاركتها في صنع القرار، إلا أن الدول أهملت فى تطبيقه وتنفيذه. فمن أصل 192 دولة لم ينفذ هذا القرار حتى الآن سوى 21 عضو في الأمم المتحدة. وقد يرجع السبب فى عدم تطبيقه إلى رفض معظم الدول ضمنياً مشاركة المرأة فى صنع القرار، أو عدم الاعتراف بقدرتها ودورها فى خلق السلام والأمن الدوليين.

إن حماية ومساعدة النساء المتأثرات من النزاعات المسلحة يتطلب اتخاذ كافة التدابير لرفع الحماية القانونية الممنوحة لهن ومعالجة احتياجاتهن في حالات النزاع وبعدها. وتعديل القوانين والتشريعات الوطنية التي من شأنها تعزيز مشاركة المرأة ووصولها لمواقع صنع القرار، وتمكينها اقتصادياً لتحسين دخلها. وضرورة وضع خطة لتفعيل القرار 1325 وتوعية المجتمع بأهميته.

الأممية الاشتراكية ومهام الخروج من الورطة التاريخية

لانحسار نفوذ الأحزاب الشيوعية، واليسار عامة، أسباب متعددة من بينها الورطة التاريخية لفشل النموذج الإشتراكي السوفيتي وإقتباساته في أوروبا الشرقية من جانب و انتعاش النموذج الصيني – الفيتنامي المعتمد على اقتصاد السوق من جهة أخرى بالإضافة لتأخرالنموذج الكمبودي – الكوبي وتعثرالكوري الشمالي ودخوله نفق الديكتاتورية الفردية وهذا يملي على الأحزاب الإشتراكية والشيوعية دراسة الأوضاع المستجدة في العالم الحالي حيث ينحاز وعي الشغيلة والجماهير باستعجال لتفضيل اقتصاد السوق الرأسمالي وبأشكاله المتعددة على عكس ما توقعته النظرية الماركسية وناضلت أجيال من الإشتراكين والشيوعين لتحقيقه ولكنه لم يتحقق بل وأفرزت هذه الحقيقة المرة جموع ماتزال واهمة بتحققه.

لقد ضعفت الأحزاب الشيوعية في العالم ولكن شعلة النظرية ما تزال متوقدة وبحاجة إلى النوعية الصحيحة من الوقود لكي تستمر في التوقد وهذا الوقود هو تكييف وتطوير النظرية لتخرج من القالب العقائدي وتتحوّل إلى أداة عصرية لبناء مجتمع عادل متعدد الأحزاب والطبقات يعتمد على الديمقراطية وتداول السلطة .

إن نماذج التجارب الإشتراكية التي أفرزها القرن الماضي كانت نتيجة حتمية للحربين العالميتين وتأثيرهما على الاقتصاد والفكر وحقوق الإنسان بعد دحر الفاشية وكانت ثمرة تحالف أحزاب الطبقة العاملة والقوى اليسارية مع القوى الرأسمالية .

لقد تقاسمت الطبقة العاملة الإنتصار مع أعداء الفاشية الآخرين وحاولت بناء أنظمة إشتراكية في بلدانها معتمدة على المحتوى الكلاسيكي المتاح للنظرية الماركسية، وإذا بالتجربة وبعد عقود من التطبيق تتعثر لتنهار بسبب عدم تطويرمفاهيمها وتكييفها مع عصر التكنولوجيا و(الوفرة) لا على المستوى النظري ولا العملي في الإدارة الإقتصادية وهيكل الحزب والدولة وأسس تبني الديمقراطية ومراحل تطبيقها .

كان فشل إستمرار التجربة مؤثراً على إستمرار الدولة الإشتراكية والدور الطليعي للحزب وإمتدّ هذا الفشل بكل جوانبه إلى العمل بين الجماهير وكسب القواعد الجديدة على مستوى بلدان العالم، (وتستثني بعض التجارب الكلاسيكية المماثلة للسوفيت في بلد مثل النيبال وولاية كيراله الهندية حيث يحرز الشيوعيون مكاسب جماهيرية وسياسية واضحة).

واليوم يتطلب العمل لاسترجاع القاعدة الجماهيرية وثقة الطبقات الكادحة والمتوسطة تحقيق مهام مستجدة لأحزاب الشغيلة في أوروبا وكل العالم أينما وجدت – تلك المهام الملحة هي الإعتماد على تطوير أسس النظرية وتحديث الهيكلية الإدارية للأحزاب الإشتراكية وتجديد شبابها وتوسيع التحالفات الوقتية وتلك الطويلة الأمد لتشمل قوى تطوير الإنتاج والسوق للتطويرالمراحلي للاقتصاد وكسب ثقة الجماهير والحلفاء لتكريس مكانة الحزب الجماهيرية آخذين في الإعتبارالتفريق بين تجارب الدول والتجمعات الإقتصادية للإبتعاد عن التقديس الإقتصادي والفردي والإداري لكل تجربة والتصرف حسب ظروف المكان والزمان والتقاليد الثورية في كل منطقة .

إن المؤشرات المعاصرة تبين بأن الصدام والإنقسام حالتان متوقعتان بين الأحزاب الإشتراكية والشيوعية في الدول النامية وتلك الأوروبية الأمريكية، إذا بدأ السعي من الطرفين لتطوير النظرية وتوسيع التحالفات السياسية مع قوى السوق الرأسمالي وتهيئة الهيكل الحزبي، أي تأسيس أحزاب إشتراكية من طراز جديد ذات مفاهيم متكيفة مع حالة الوعي السياسي والطبقي الحديثة للجماهير، ويتضح عدم الإتفاق والتوافق بين الطرفين في حل أجندات مثل مسألة اللاجئين من الدول النامية إلى أوروبا والقلق الأخلاقي الناتج عن فرض سياسات قوانين ملفات (قوس قزح)، بالإضافة إلى استمرار استغلال ثروات الدول النامية من قبل الدول الإستعمارية خاصة في افريقيا وأمريكا اللاتينية .

ولا شك أن موافقة الأحزاب الإشتراكية والشيوعية على مثل هذه الأجندات لصالح أحزابها الشقيقة في الدول النامية سيسلبها من تأييد جماهيرها في بلدانها مقابل إنتعاش قواعد الأحزاب اليمينية، وهذه ورطة تاريخية ولاشك ستؤدي إلى الصدامات السياسية وبالتالي صدامات إنتهازية على مستوى النظرية الإفتراضية التي يسعى لإكتشافها لجمع المصالح الطبقية وتبين هذه الاجندات أن الفرز الطبقي وتصادم مصالح القوى المتعارضة المتحالفة وقتيا على سبيل الإفتراض لا بد أن يكون من بين العوامل الأساسية التي ستؤزم الصراع بين أحزاب الطبقة العاملة والأحزاب المتحالفة معها من الطبقات المتوسطة والبرجوازية خالقة حالة تناقض في تحالف المصالح، وهو تناقض سيلعب دوره في فرز الأسس الحديثة لتطوير النظرية .

ما نوع الأشخاص الذين يحتاجهم الذكاء الاصطناعي؟

حسين الشويخ

تمتلك أنظمة الذكاء الاصطناعي القدرة على التأثير على جميع الصناعات والمهن التي تتعامل مع البيانات والمعلومات. على عكس العديد من التطورات التكنولوجية السابقة، يتمتع الذكاء الاصطناعي بالقدرة على تحويل الاقتصادات والمجتمعات في جميع أنحاء العالم. وفي حين يوفر الذكاء الاصطناعي فرصا للابتكار والإنتاجية والازدهار، فإنه يشكل أيضاً مخاطر – بما في ذلك على سوق العمل، ويهدد بإزاحة الوظائف وزيادة عدم المساواة – لأنه أكثر قدرة على التعامل مع مهام معينة . من ناحية أخرى، يقف الناس دائمًا وراء تطوير أي تقنية: الذكاء الاصطناعي قادر على خلق طلب جديد على العمالة، واستكمال الأشخاص الذين يعرفون كيفية العمل مع التقنيات الجديدة.

لمعرفة المهارات المطلوبة من المتخصصين المشاركين في تطوير أنظمة الذكاء الاصطناعي وتنفيذها وصيانتها، قام خبراء منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية بتحليل الوظائف الشاغرة عبر الإنترنت للفترة 2019–2022. 14 دولة شكلت مجتمعة 46٪ من الناتج المحلي الإجمالي العالمي خلال هذه الفترة، واستخدم الباحثون قاعدة بيانات Lightcast، التي تحتوي على معلومات من أكثر من 50 ألف موقع عمل في 28 دولة، والدول الـ 14 التي تضمنت الدراسة بياناتها هي: الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وبريطانيا وأستراليا ونيوزيلندا والنمسا وبلجيكا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا وإسبانيا وهولندا والسويد وسويسرا. ولتحديد الوظائف المرتبطة بالذكاء الاصطناعي، قام الباحثون بتجميع قائمة تضم أكثر من 200 مهارة، وقسموها إلى مهارات عامة وخاصة، وقاموا بتجميعها في سبع مجموعات، تشمل المهارات العامة ،المهارات التي قد لا ترتبط بشكل مباشر بتطوير أنظمة الذكاء الاصطناعي أو صيانتها وتغطي نطاقًا أوسع من المهن (وهي مهارات مثل "التعلم الآلي" و"الترجمة الآلية"). تتعلق مهارات محددة بأدوات أو تطبيقات محددة ("تعزيز التدرج"، "الشبكة العصبية التلافيفية"). يعتبر إعلان الوظيفة مرتبطًا بالذكاء الاصطناعي إذا كان يحتوي على الأقل على مهارتين عامتين أو مهارتين محددتين.

وتوصل الباحثون إلى الاستنتاجات التالية: عدد الوظائف الشاغرة التي تتطلب مهارات الذكاء الاصطناعي، 2019–2022 زاد بشكل ملحوظ – بمتوسط 33٪ في جميع البلدان. وكلما انخفضت حصة هذه الوظائف الشاغرة في عام 2019، زاد النمو: من 22٪ في الولايات المتحدة الأمريكية إلى 155٪ في إسبانيا.

ومع ذلك، على الرغم من النمو السريع، فإن حصة الوظائف الشاغرة في الذكاء الاصطناعي صغيرة للغاية: على سبيل المثال، في الولايات المتحدة، حيث هذه الحصة هي الأعلى بين جميع البلدان، كانت 0.84٪ فقط من جميع الوظائف الشاغرة المنشورة عبر الإنترنت. وفي كندا والمملكة المتحدة، بلغت نسبة الوظائف الشاغرة في مجال الذكاء الاصطناعي 0.5٪، وفي نيوزيلندا وبلجيكا – أقل من 0.2٪. وفي المتوسط في جميع البلدان، ارتفعت حصتها من 0.3٪ في عام 2019 إلى ما يزيد قليلاً عن 0.4٪ في عام 2022.

وفي جميع البلدان، تعدّ المهارات المرتبطة بالتعلم الآلي هي الأكثر طلبا: فقد تمّ العثور على مجموعة المهارات هذه في 34٪ من جميع الوظائف المرتبطة بالذكاء الاصطناعي، وتتراوح من 39٪ في الولايات المتحدة إلى 29٪ في فرنسا. وفي المرتبة الثانية تأتي المهارات من المجموعة المسماة "الذكاء الاصطناعي" – 21٪ من جميع الوظائف الشاغرة؛ في المركز الثالث – "الشبكات العصبية" 14٪. ومع ذلك، كان الطلب على المهارات الأخرى أيضًا مرتفعًا اعتمادًا على البلد: على سبيل المثال، شكلت القيادة الذاتية 0.05٪ فقط من الوظائف الشاغرة في المتوسط في جميع البلدان، و19٪ في فرنسا. تمثل الروبوتات ما متوسطه 0.03٪ من الوظائف الشاغرة، ولكن في هولندا – 13٪. وقد يشير هذا إلى أنه مع تطور تقنيات الذكاء الاصطناعي حول العالم، لن تتخصص جميع البلدان في كل شيء، بل على العكس من ذلك، ستتطور مجالات مختلفة من الخبرة في بلدان مختلفة.

يتركز الطلب على المهارات المتعلقة بالذكاء الاصطناعي بشكل كبير عبر الصناعات. وفي معظم البلدان، كان العدد الأكبر من الوظائف المرتبطة بالذكاء الاصطناعي في الخدمات المهنية (بما في ذلك العلمية والتقنية)، بمتوسط 25٪. وكان ما يقرب من ربع (24٪) من جميع الوظائف الشاغرة في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات و 13٪ في الصناعة. وفي مجالات مثل خدمات الفنادق والمطاعم والزراعة والنقل، تقترب حصة الوظائف الشاغرة في مجال الذكاءالاصطناعي من الصفر.

على مدى ثلاث سنوات، في الصناعات التي لديها أصغر حصة من الوظائف الشاغرة في مجال الذكاء الاصطناعي، ظلت هذه الحصة دون تغيير تقريبًا، بينما في الصناعات الأكبر حصة، زادت بشكل ملحوظ. ويشير هذا إلى أن نمو الطلب على المهارات المرتبطة بالذكاء الاصطناعي لا يزال يتركز بين الشركات التي تعمل على تطوير الذكاء الاصطناعي وليس بين الشركات التي تنفذه، أي أن "استبدال العمال بالتطبيقات على نطاق واسع" لن يحدث، على الأقل حتى الآن.

ومع ذلك، حتى في الصناعات "الثلاث الكبرى" التي تمثل الجزء الأكبر من الطلب على مهارات الذكاء الاصطناعي، هناك عدم تجانس بين البلدان، ويرجع ذلك على الأرجح إلى الاختلافات في التخصص الصناعي والهيكل القطاعي لسوق العمل في مختلف البلدان. على سبيل المثال، في نيوزيلندا، نصف الوظائف الشاغرة في مجال الذكاء الاصطناعي مرتبطة بقطاع الخدمات المهنية، وفي سويسرا – 15٪ فقط، وفي الولايات المتحدة الأمريكية وأستراليا – 30٪. وترتبط 10٪ من الوظائف الشاغرة في الولايات المتحدة بقطاع تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وفي إسبانيا 45٪، وفي ألمانيا 30٪ تقريباً، وفي أستراليا ما يزيد قليلاً عن 5٪.

وألقى الباحثون نظرة فاحصة على الوظائف المتعلقة بالذكاءالاصطناعي في الولايات المتحدة، باعتبارها الدولة التي لديها أعلى طلب على مواهب الذكاء الاصطناعي. على وجه الخصوص، قام المؤلفون بمقارنة الملفات الوظيفية للوظائف المرتبطة بالذكاء الاصطناعي والوظائف غير المرتبطة به.

اتضح أن الوظائف الشاغرة في مجال الذكاء الاصطناعي، إلى جانب المهارات التقنية مثل معرفة Python أو Data Science أو Apache Hadoop، تحتوي على متطلبات لما يسمى "المهارات الناعمة"، وغالبًا ما تكون مهارات الاتصال. علاوة على ذلك، فإن الوظائف المرتبطة بالذكاء الاصطناعي من المرجح أن تتطلب مهارات القيادة والإدارة والابتكار وحل المشكلات والتوجيه أكثر من الوظائف غير المرتبطة بالذكاء الاصطناعي.

على وجه الخصوص، يحتاج أصحاب العمل العشرة الأوائل في مجال الذكاء الاصطناعي إلى أي مهارة شخصية أو اجتماعية وعاطفية أكثر من أي وظائف أخرى غير الذكاء الاصطناعي في سوق العمل، باستثناء وظائف المبيعات وخدمة العملاء. إن الحاجة إلى المهارات الشخصية بين قادة التكنولوجيا تعني أن هذه المهارات قد تمثل علاوة على الإنتاجية. في المقابل، يشير هذا إلى أنه مع تطور أنظمة الذكاء الاصطناعي، لن تكون المهارات التقنية فحسب، بل أيضًا مهارات الاتصال لدى العمال هي المفتاح، كما يستنتج المؤلفون.

الخيل والليل والبيداء تعرف المسرح

زهراء المنصور

كم هو مبهج مشاهدة مناظر طبيعية من عمق الصحراء وهي مؤثثة بسينوغرافيا مسرحية على امتداد البصر؛ الصحراء التي ألهمت الشعر والكتابة والرسم، ليس لقاطنيها أو مرتاديها فحسب، بل سحرت المستشرقين والأجانب وغيرهم من الباحثين عن الأصل والجمال، الذين لا يزالوا يروون فيها سحر الطبيعة الصافية التي تستحق التأمل وتنتج الفن، فكيف إن أنتجت الصحراء مسرحاً بمقاييس تعادل أو تفوق الخشبة؟

يتخذ المسرح من علبته الإيطالية مكاناً معتاداً للعرض، منذ أن قُدّم إلينا هذا الفن بشكله الأوروبي، وهو مترسخ وقابل للتعديل، وثابت في شكله الذي اعتدنا عليه. وبرغم وجود الظواهر المسرحية التي تشكلت قبل وجود الشكل الإيطالي من أشكال العروض؛ مثل خيال الظل ومسرح التعزية وغيرهما من الأشكال المسرحية العربية المعروفة، إلا أن التجارب الكثيرة خارج العلبة؛ مثل اختيار ساحات مفتوحة، أو بيوت قديمة، مزارع أو أسواق، كلها بدائل يقصد بها التعبير الأقرب لفكرة المخرج أو موضوع العرض، ربما يخفق بعضها نتيجة الرغبة "فقط" باستبدال الخشبة، ويمكن قياسه ذلك بعد مشاهدة المسرحية، والاستنتاج عن استحقاقه العرض خارج المألوف.

في إمارة الشارقة؛ حيث الاهتمام الكبير بالثقافة والفنون والمسرح بشكل موسع، تفتّقت فكرة المسرح الصحراوي عن رؤية راعي الثقافة الأكبر سمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي حاكم الشارقة، الذي يدرك بقناعات صادقة أن "السحر الكامن في عوالم المسرح يشكل عامل توحد إنساني"؛ لذا تتبنى الشارقة معظم نشاطات المسرح الجادة في الداخل والخارج، تنفيذاً لهذه الرؤية الشاملة والتوجيه من لدن سموه. وقد تمّ تنفيذ فكرة المسرح الصحراوي قبل سنوات، عبر استغلال فضاء الصحراء المفتوح، في تقديم عروض مسرحية متصلة بهذه البيئة ذات الخصوصية العالية بتناول موضوعات ذات العلاقة وأكثر، وفي رهان على استنطاق الطبيعة عبر خيال المخرجين.

والحقيقة أن الفكرة، بقدر تحدياتها التي تفرض معايير مختلفة –نسبياً– عن لعبة المسرح ذي الإطار المحدد، هي مغرية لتحقيق الرؤى الفنية حسب خيال المخرج وتطبيقه إياها على الواقع. لكن ثمة أسئلة تخصّ تغيّر المكان. وفيما يحدث في السينما –على سبيل المثال– من تقنيات التصوير، تسمح برؤية ملامح وتعبيرات الممثل بدقة، يحتاج ممثل المسرح إلى تحديده أحياناً بشكل مبالغ فيه حتى يتمكن المتفرج في الصفوف المتأخرة من مشاهدته. وإذا كان ذلك ينطبق على أمتار تقع بين الحد والحد على الخشبة، فكيف بالفضاء المفتوح؟

إن أول دهشة يتلقاها المتفرج في هذه المساحة الشاسعة على امتداد البصر، إلى حدّ التلال في آخر هذه الصورة الربانية، هي في كيفية إشتغال العمل على هذا العمق؛ كيف تنعكس الإضاءة على التنوع بين مكان الحدث وخلفيته وكواليسه؟ وكيف توظف السماء بنجومها الضاوية سقفاً لمناجاة، أو لقاء عشاق، أو تصوير معركة بين طرفين لا تصهل خيولهما أثناء المعارك، بل تصيح كالنسور كما يقال، وهي قادمة من وراء التل، ومن الكواليس المتخيلة في جنبي منطقة المشاهدة. هذه الصور الجميلة –التي تتباين من عرض لآخر– قادرة على إشعال خيال المتلقي، والإيحاء بأن هناك مزيداً من السحر المنتظر بعد كل مشهد، وهذا يعني أن البيئة المهيئة للعرض خيار مناسب وقادر على التشكل حسب خيال المخرج.

استضاف المهرجان من قبل دورات ست، جمعت عروضاً من أماكن مختلفة، وتعدد الوجهات يعني أن ثمّة ثقافات ستقدم نفسها وبيئتها. فالخصوصية هنا متاحة أكثر من العلبة الإيطالية والتصاقها بطبيعة المكان الذي يحتم –غالباً– حدثاً مرتبطاً بالبداوة، والبر، والشعر، والأجواء المتعلقة بهذا. وربما قرأ المخرجون مزاج الجمهور، الذي يمثل عدد كبير منه ساكني الفندق الصحراوي، والمهتمين الحريصين على مشاهدة المسرح، عدا الضيوف والمتخصصين طبعاً، فلجأوا إلى قصص الحب التي تواجه صعوبة في استكمال طريقها معاً، بالإضافة إلى خطوط إضافية من العداوة،

والحرب، والثأر، وصراع القبائل بين بعضها البعض.

وهذا التناول يعني البساطة في الحدث، لا السطحية. فخلق حدث، كما كتبه سلطان النيادي في عرض "الناموس"، من إخراج محمد العامري، يأتي في إطار تحليل فكرة الخلافات التي تفرق، ولا يدرك أصحابها أنهم ضعفاء حين يكونون عصيّاً متفرقة، كما تذكر الحكاية القديمة المعروفة؛ في حين أن تطبيق مبدأ "في الاتحاد قوّة" عصيٌّ نتيجة عدم توافق الرأي، وحين تتعرض القبيلة لغارة، فإنه يسهل تفتيتها؛ لأنها كذلك بدون تدخل الآخرين! لذا ليس غريباً أن يتّكل كل منهم على الآخر ليذهب إلى الحرب والدفاع عن اسم وشرف القبيلة. وحين كانت الإناث –وهذه رمزية مهمة– تدفعن الرجال للمواجهة، يبررون عدم ذهابهم في إيكال هذا العمل لمن سيذهب يقيناً. ولا يخلو عرض للعامري المتميز من لفتة بصرية، ولو صغيرة، وهو هنا يغافل المتفرج في إحدى الغارات، ويخفي الخيام بخفة الساحر الذي يجيد سرقة عين القادم لمشاهدة عرضه.

وفي العرض الأردني، من ذا الذي يستطيع أن يخيب أمل جمهور ليصفق بحرارة لرجوع حبيبين فرّقهما عرف القبيلة الأحمق؟ من الذي يقيس هذه البهجة التي تعلن نفسها في "منيفة"، من تأليف أحمد الطراونة، وإخراج فراس المصري، عبر تصفيق حار، حين يقترب حل العقدة التي حصلت بلا ذنب لأي منهما، في دراما تشبه ما كان يعرض بالتلفزيون في وقت بعيد، من صراع تقليدي بين الخير والشر، يسعد الجمهور بالنهايات السعيدة التي تحسن مزاجه، بعيداً عن صراعاته الشخصية اليومية؟! أليس الفن، بفروعه المتعددة المغرية الجميلة، أحد مسببات الغذاء الروحي الذي يجوِّد الحياة أكثر؟ وعلى نفس سياق، قصة الحب غير المتوافقة مع عرف القبيلة؛ ينتزع الأخ أخته من زوجها، بعد أن شب خلاف مفاجئ بين قبيلتيهما، لكن حبهما يتحدى هذا البعد الجبري؛ عبر إنجابهما طفلاً يلم شمل الطرفين مجدداً، وذلك في العرض السوري "ذيب"، وهو اسم المولود الذي رمز لاسمه بمعانٍ عدة مرتبطة بالمكان، من تأليف وإخراج سامر إسماعيل.

أما المخرج المصري انتصار عبدالفتاح، الذي أعد عمله عن "كتاب الموتى الفرعوني"، فقد عمل بأسلوب البولفونية الذي يشتغل عليه في أداءاته المسرحية، بتنويعات مختلفة ومتمازجة. وفي "الصحراوي"، قدم عرض "ترنيمة الصحراء" الذي بدا مختلفاً عن العروض التي سبقته من ناحية السرد التقليدي لحكاية مفهومة تصل إلى الجمهور بشكل مباشر، عبر تعامله مع المكان بتجرد، دون ربط عناصره بأي من مفردات الصحراء، عدا توظيفه للجبل عبر جعله راوياً للحدث بصوت الفنان الراحل د. هناء عبدالفتاح، وفضّل الاشتغال على الرموز عبر استحضار الإنسان الذي تحيط به العوامل الأساسية عبر أربع شخصيات نسائية، تمثل الأمومة والماء والهواء والرياح –ربما– وعلاقته الروحية والمادية مع هذه العناصر، وعلاقة الفرد/بطل الحكاية بما حوله، حين يحاول أن يرى ببصيرته هذا المكان.

ومن الغنى مشاهدة أعمال مسرحية تنتمي إلى بيئات وثقافات مختلفة قدمت في الصحراوي. لكن تجربة موريتانيا قد تبدو مختلفة عن بقية العروض الأخرى، ربما لكونها الأبعد جغرافياً، مقارنة بسوريا ومصر والأردن والإمارات بالطبع، أو لعل هذا الاختلاف المتميز نابع من القدرة على توظيف موروث شعبي متعلق بقصص يعرفها أهلها، بالشعر، والمفردات، وحضور الزي التقليدي، وتوظيف كل هذا مسرحياً؛ ليراها المتلقي من خارج موريتانيا سرداً لحدث يستخدم العناصر المسرحية بالصحراء. وقد أتى عملهم "أولاد العالية"، الذي كتبه وأخرجه سلي عبدالفتاح، بإشراف من المخرج التونسي حافظ خليفة، في انقسام أبناء عائشة وعالية، واختلاف مصيرهم ومكانتهم في المجتمع، ومن ثم الخلاف الذي نشب على خيل "المزوزة"، في نوع من الاعتداد والارتباط البدوي بها، بل وربط النصر بوجودها.

كل شيء في الصحراوي امتزج بالسكون القابع في المكان، على الرغم من الفرقة الشعبية المتواجدة بفنونها وصخبها، وفنون الفرجة التي تقدمها قبل كل عرض، لكن هذا لم يخرج عن الجو العام. وحين يطلق على النقاش الذي يلي العرض المسرحي ندوة تطبيقية أو تعقيبية بشكل مألوف في الوسط المسرحي، تأتي مفردة "المسامرة النقدية" في سياق المهرجان الصحراوي الذي يناقش عروضه بخفة مسامرة المجالس التي بنيت لها دكة مرتفعة عن الأرض "مصطبة"، في الفضاء المكشوف، والإضاءة المناسبة التي تتيح للصغار من ساكني الفندق الصحراوي المصاحب للمهرجان اللهو على التل الصغير بالرمل، وراء أحد المتحدثين الجادين عن العرض!

وبنفس السياق، يتم الحديث عن المسامرة الفكرية التي تتيح لباحثين ومسرحيين التطرق لخصوصية الاشتغال على هذا النوع من المسرح، وكيف للأماكن الأخرى أن تزدهر بالمسرح، ليس بنوعية موضوعاتها وحسب؛ بل وقربها واستقطابها جمهوراً جديداً لم يعتد الذهاب إلى المسرح أصلاً. لذا نقب هؤلاء الباحثون هذه المرة عن "تحديات الأداء التمثيلي في المسرح الصحراوي"، قدمت فيه أوراق مهمة وثرية، وأسئلة مهمة أثيرت، خصوصاً لمن حضر دورات سابقة من الصحراوي، أو اطلع على أعمال سابقة بواسطة الوسائل الأخرى. وهناك أيضاً الإضافة التي انتبه لها الباحثون، بالإشارة إلى بعض الملاحظات المهمة في بيئاتهم، وكيف أن كل بيئة مولدة لفنون وخصوصية تتناقل بين أفراد المجتمع نفسه، حتى تصبح جزءاً مهماً من موروثهم وأعرافهم التي يختصون بها، ثم يصدّرونها كجزء من هويتهم بعد وقت.

وهذا النوع من العروض المسرحية في مكان غير مألوف في منطقة الخليج؛ يعطي أفكاراً ودوافع للمسرحيين في إعادة التفكير في تحجيمهم في صالات المسرح المحدودة، والتي لا تفي باحتياجات التدريب والعرض، مع الأخذ بالاعتبار أن تجربة الأماكن البديلة ليست جديدة، لكن تكريس مكان وبيئة محددَيْن يحفز لخلق آفاق أخرى؛ مثل الأماكن والأفكار التي تولد قصصاً وأحداثاً من نسيج نفس المجتمع، وتخضع الطبيعة لمتطلبات العمل، كما توضع العناصر المسرحية في موقع قابل للتأويل حسب النسق. وكما وجدت الصحراء، نأمل أن يكون البحر وسواحله مكاناً مقترحاً لتقديم عروض مسرحية قادمة تهرب من سلطة وقواعد المكان المحددة المحكمة.

شويّخ من أرض البحرين

د.بروين حبيب

لم أكن أتوقع وأنا أدعى للمشاركة في مهرجان البحر الأحمر السينمائي الدولي في مدينة جدة في بداية هذا الشهر أن أحظى بمفاجأة كبيرة عرضَت أمام عيني محطات كثيرة من شريط حياتي. فقد عُرض ضمن فعاليات المهرجان الفيلم الوثائقي «خالد الشيخ : بين أشواك السياسة والفن» الذي أنجزته مجموعة الثمانية بقيادة المخرج السعودي المتميز جمال كتبي. وأنا أشاهد الفيلم رجع بي الزمن إلى تلك المراهقة التي كنتها في سنتها الأولى بمدرسة المنامة الثانوية للبنات، تهديها صديقة – مهووسة إلى حد العشق الصوفي بصوت خالد الشيخ – شريط كاسيت ولم يكن غير ألبوم «نعم نعم» بأغانيه الخالدة «يا محمدي يا محمدي» و«عطني وعد» و«وين أوديك»، ومن يومها أصبحت أغاني خالد الشيخ رفيقة تلك الفتاة المراهقة في النهار ونديمتها في الليل وأصبحتْ من كبار معجباته أو فانزاته بلغة وسائل التواصل الاجتماعي التي فرضت نفسها حتى على مجمع اللغة العربية المصري.

هكذا عرفتُ أغاني خالد الشيخ في بداياتي، سمعته بقلبي وتتبعت ألبوماته ولم أدع أغنية منها تفلت مني، وكنت معجبة خاصة بالأغاني التي كتب أشعارها الشاعر الغنائي المتفرد علي الشرقاوي مثل «ضيعوك» و«جروح قلبي وتر» و«سافر في ارتفاع الصواري» وغيرها، فثنائيتهما كانت ناجحة ولعل كونهما ابنا بيئة واحدة قواسمها المشتركة كثيرة ساهم في ذلك، إضافة إلى نزعة للحداثة في كلمات الشرقاوي وألحان خالد على السواء. وأنا أتوافق مع رأي الدكتور حسن مدن حين كتب مرة بأن «أجمل كلمات أغاني خالد الشيخ هي من إبداع علي الشرقاوي». دون أن يقلل ذلك من جمالية القصائد التي كتبها له آخرون.

ولا زلت أذكر انخطافي حين سمعت أغنية «عيناك» أول مرة، كأنّه لم يكن يكفيني ولهي بأشعار نزار قباني حتى أسمعها بصوت خالد الشيخ. ذلك الوله الذي سماه أستاذي الدكتور صلاح فضل رحمه الله تهوّسًا في مقدمة كتابي عن نزار أضيفَ إليه تهوّسٌ آخر بصوت خالد فوا حرّ قلباه! أغنية «عيناك» ذات السبع عشرة دقيقة أوصلت فن خالد الشيخ إلى العالم العربي كله. وانتبه المستمعون بمختلف أطيافهم إلى هذا الصوت المحمّل بالشجن والعُود الممتلئ ألحانا القادم من البحرين ليعلن عن نفسه رقما صعبا في تلحين وغناء القصيدة الفصيحة. وإذا كان عبد الحليم حافظ بقارئة الفنجان ورسالة من تحت الماء ونجاة الصغيرة بأسألك الرحيلا و أيظن افتتحا الموجة الأولى من الشعر النزاري المغنى، فإن أغنية «عيناك» هي من أطلقت الموجة النزارية الثانية التي كبرت فأصبحت تسونامي بصوت وألحان المبدع كاظم الساهر فيما بعد وماجدة الرومي بدرجة أقل. كما برهنت على موهبة استثنائية لخالد في تلحين القصيدة العربية الفصيحة دون خشية من التجريب بل مع قصديّة واضحة في اكتشاف مساحات بكر، وقد لحّن الشعر الفصيح من القصيدة العمودية المخلصة للأوزان الخليلية إلى قصيدة النثر التي لا إيقاع ظاهري فيها إلا إيقاعها الداخلي. ومن شعر مالك بن الريب التميمي قبل أربعة عشر قرنا إلى أشعار صديق خالد ومجايله وأحد آباء قصيدة النثر قاسم حداد.

ما أن بدأت في إعداد وتقديم البرامج الثقافية حتى كنت على موعد مع خالد الشيخ، فاستضفته أول مرة سنة 2001 في برنامجي «صواري» وخالد بالمناسبة حصان رابح للمراهنة عليه في نجاح أي برنامج تلفزيوني فهو متكلم جيد بعكس كثير من المطربين الذين إن أخرجتهم من دائرة الصوت الجميل يغدون أشبه بالأميين وكم عانيت في برامجي مع بعضهم ولا أعمّم. فهو مثقف صاحب مشروع يدرك تماما ما يريد أن يحققه. متدفق في حديثه عن فنه بعلم ومعرفة أكاديمية، سريع البديهة مشاكس في أحيان كثيرة ولاذع في نقده فقد كان يقول «عيبي لساني» وهو ككل مبدع مجتهد يشعر باغتراب حين يرى اشتهار بعض الفنانات بل وحتى الفنانين لا يصلح حين نراهم على الشاشات سوى أن نقول «خفّض الصوت وعَلِّ الصورة». تحدّث يومها عن تلحينه لقصيدة مالك بن الريب وكيف أن جملة لحنية تراثية فرضت نفسها على لحنه حالت بينه وبين التصعيد اللحني الذي يفترض أن يترافق مع أبيات الشاعر الذي يرثي نفسه، وما زالت طروحات خالد الشيخ في تلك الحلقة راهنةً الآن بعد أكثر من عقدين إذ لا يزال صوت الكلمة هو الأعلى واللحن تابع لها يقول ما تقوله هي ولا استقلالية له خارج سطوة حضورها. ولعل هذا ما دفع خالد الشيخ إلى مغامرة التجريب، ولا زلنا نذكر اشتراكه مع الشاعر قاسم حداد والفنان التشكيلي إبراهيم بو سعد في ثالوث يجمع الصورة والنص الشعري واللحن بعنوان «وجوه» وشاركهم أدونيس قراءات بصوته في تعالق فني لا يعطي أسبقية لفن على آخر بل هي ثلاثة أحصنة تركض في بريّةً الإبداع دون التفات إلى من سيسبق من، بل ولا تهتم حتى بأن تصل معا، أليست اللذة تكمن في الطريق نفسه لا في الوصول؟! ومن المؤسف أن تلك التجربة لم يُبْنَ عليها فجوّ الفن الراكد في عالمنا العربي أعاد الأحصنة إلى مربّعها الأول. وانتقل خالد الشيخ إلى آفاق جديدة يرتادها كانت عتبة أعلى تجاوزها حين لحن وأدى شعر المتصوف الأندلسي الكبير أبي الحسن الششتري، فغنى «شويخ من أرض مكناس» و«كلما كنت بقربي» و«يا مدير الراح» وجعل من قصائد كانت لا تغنى إلا في تكايا الصوفية يتواجدون عليها مشاعة بين المستمعين يتمايلون طربا لسماعها بصوت خالد نفسه أو الكثيرين الذين استعاروها منه.

ويمكننا أن نعدّ أغاني خالد من قصائد صديقه المثقف والشاعر الإماراتي محمد أحمد السويدي إحدى محطاته المفصلية، فقد اجتمعت حول السويدي مجموعة متجانسة فكريا وإبداعيا إضافة

إلى خالد الشيخ مثل مارسيل خليفة وطلال حيدر ضخت دما جديدا في جسد الأغنية الحداثية. ويمكننا أن نعتبر تلحين وتوزيع خالد لأوبيريت «عناقيد الضياء» مصالحة مع تمرده على والده باختياره للفن والغناء خط حياة بعيدا عن الدبلوماسية والوجاهة اللتين كان والده يريدهما له. رغم أن خالد حاول تلبية رغبة والده شيخ الدين سليل عائلة علماء منها استمدت اسمها « الشيخ». فدرس خالد العلوم السياسية والاقتصاد ثلاث سنوات في جامعة الكويت لكن صوت الفن كان أعلى فاجتذبه إلى القاهرة ليدرس في الكونسرفاتوار ويتبع شغفه مما أحدث قطيعة مع والده رحمه. فجاءت أوبيريت «عناقيد الضياء» تصل ما انقطع وكأنها اعتذار غير مباشر من خالد لوالده على ما أحس به أبوه من خيبة ظن حين اختار ابنه الفن على خطّ العائلة المتوارث. والأوبيريت عمل ضخم يروي سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم بلسان الشاعر السعودي عبد الرحمن عشماوي اشترك فيه نخبة من كبار الفنانين العرب مثل لطفي بوشناق وعلي الحجار ومحمد عساف وحسين الجسمي بمرافقة أوركسترا ألمانية مكونة من سبعين عازفا،وبرعاية من حاكم الشارقة سمو الشيخ سلطان بن محمد القاسمي بمناسبة حتفالية الإمارة بتتويجها عاصمة الثقافة الإسلامية. وفي آخر لقاء لي بخالد الشيخ في برنامجي «بروين شو» قبل سنتين بدا شديد الاعتزاز بأمرين أولهما عمله في هذه الأوبيريت، وثانيهما بابنته سماوة التي شاركتنا الحلقة حيث سلكت درب الفن مثل أبيها مع حرصه الشديد أن تأخذ مسارا مختلفا عنه حتى لا تكون صورة منه وهي بإمكانها أن تكون أصلا. ويومها نسي عوده فكانت مفاجأة جميلة حين جلب له صديقه شريف منير عود الموسيقار الكبير عمار الشريعي ليعزف عليه.

بقدر ما أن مسيرة «خالد الشيخ» مميزة ومتفردة إلا أنها مظلومة لم تأخذ حقها الكامل فالفنان المثقف الذي يدرك تماما ما يفعل عملة نادرة كان يفترض أن تشمله رعاية مؤسسية أو رسمية عوض أن يترك لقدره، في زمن يزداد تفاهة يفضل فيه المسؤولون عن الفن الفستان القصير على الفكر المستنير. وحسنا فعل مهرجان البحر الأحمر السينمائي الدولي حين كرّم خالد الشيخ بعرض فيلم مجموعة ثمانية عنه، فكان عرسا بحرينيا أفاض العيون بالدمع عندما قال خالد إنه يتمنى أن يفتح قبر أبيه ويضمه، ويقيني أن والده رحمه الله كان ليعتز بابن لا تذكر البحرين إلا ويذكر ابراهيم العريض ومحمد جابر الأنصاري وقاسم حداد وضلع المربع الرابع خالد الشيخ.

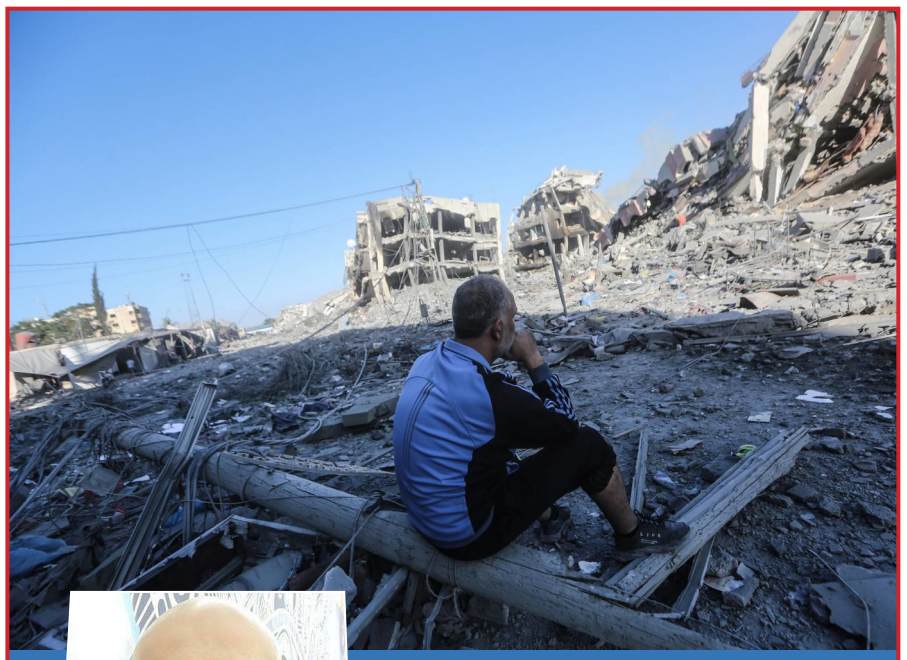

نفسي لم تنجُّ بي

أحمد رضي

أتجاهل متعمّدًا، كل الصيحات من تحت الأنقاض،
كل طفلةٍ تروى فقدها ببلاغة الفجيعة،
ارتعاشة صبيّ لم ينفع فيه المخدر، وعيناه المدهوشتان
من جسده الراقص.
هكذا أنجو بنفسي عن قلّة الحيلة،
إلا أنني أتذكّر بغتة، حينَ أعدُّ القهوة، ثمّة من لا يستطيع سوى
التحديق في العاصفة السوداء وهي تلتهم أطفاله..
ثمّة لحمٌ عالقٌ في أضراسها.... وثمّة.... يا إلهي..
ثمّة من لا يستطيع شخط هاتفه
ليبعد الغبار الميكانيكي الجوّال في الحيّ
لأنه عالقٌ داخل الهاتف.

***

متشاغلاً بالحياة أنجو بنفسي
سوى من صيحةٍ في هواء الليل
كلّما وضعتُ رأسي على المخدّة.
أنجو بنفسي، ولكن نفسي
لم تنجُّ بي.

صورة الحياة وسيرة المكان

تجربة الفيلم الوثائقي عند أماني الطواش

في المشهد الثقافي المعاصر، لا يمكن تجاوز الأهمية التعددية للمنجزات الثقافية، في مجالات الفكر والأدب والفنون المختلفة، ومن بين أساسيات هذه المنجزات، يتصدّر الفيلم الوثائقي مكانةً خاصة؛ تلك التي تنتمي إلى الكثافة والجودة، في إيصال المعنى والصورة، وصولاً للتاريخ والذاكرة.
العاصمة البحرينية المنامة، تحمل امتداداً عريقاً في تاريخ البحرين الحديث والمعاصر، مما جعلها مسرحاً للكثير من الأحداث والتحوّلات والمراحل؛ والتي عاشها البحرينيُّون على مدى أجيالٍ مختلفة، وما زالت تحفظها وتتذكرها، ذاكرتهم الثقافية والإجتماعية. ولم يكن الباحثين والمفكرين، بعيدين عن هذه الذاكرة، فقد تناولها الكاتب والباحث د. نادر كاظم، في كتابه "لا أحد ينام في المنامة".. والذي ترافق بعد صدوره، فيلماً وثائقياً، من إعداد الفنانة أماني الطواش؛ والتي سنحاول في هذا المقال، الإضاءة على تجربتها المتميّزة في هذا المجال.

أماني الطوّاش

جعفر محمد علي

إن الأهمية التي يحملها هذا الوثائقي – والذي اعتبره مكملاً رائعاً للكتاب – أنه يعمل على تقدير مكانة التاريخ والذاكرة. وعند الحديث عن ذاكرة المنامة، لا نستطيع أن نفصل كثيراً بين الهوية البحرينية والهوية الإنسانية؛ تلك التي نعرفها ونعيشها منذ عقودٍ طويلة، بفضل مركزية المنامة ودورها، حضارياً وثقافياً واقتصادياً.
المنامة هي مدينة غير تقليدية، وقد حملت في قلبها البشر على اختلافاتهم، وسارت نحو خطوات العمران والحداثة شيئاً فشيئاً؛ وأما من جانبٍ آخر – وهو الأقرب إلى الكتاب والفيلم – وهوَ سيرة المدينة وناسها، وتاريخهم الإنساني، بكل ما يحمله من أحداث وتحوّلات ومراحل، وصولاً للإختلافات والتعددية، التيَ جعلت منها ذات أهمية وجدارة، بأن تكون لها سيرتها الخاصة، والتي أنجزها د. نادر كاظم، في كتابه الرائع.
الفيلم الوثائقي أو الفيلم بشكل عام، يختصر على القارئ أو المشاهد، الكثير من المحطات والتصوّرات؛ خصوصاً أن فيلم «لا أحد ينام في المنامة»، يعمل على المزج والـترابـط، بين مشاهد الماضي والحاضر، لتقديم ذالك التكامل بين منجز الكتاب وصورة الحياة الحديثة؛ تلك المتباينة بين المكان والحنين من جهة، وبين متطلباتنا العصرية، التي صارت هاجساً وتحدياً في الوقت ذاته.
يبدأ الفيلم بأحد المشاهد الليلية، مع أجواء المقهى وطقوس الكتابة، في صورة كلاسيكية هادئة، تبعث على الإصغاء لتفاصيل المنامةً النابضة بالحياة، ولذاكرة المدينة التي لا تنام؛ هذا ما يقوله تاريخها البعيد والقريب، حتى هذه اللحظة. وقد ترافقت هذه البداية، مع تقديم صاحبة المحتوى، الأستاذة أماني الطواش، توصيفاً للكتاب، والذي نقرأه من خلال الكلمات التالية: "لا أحد ينام في المنامة، هو ليس كتاباً تاريخياً للمدينة وناسها وأمكنتها وتياراتها وأمزجتها فحسب؛ هو شاهدٌ على التحوّلات التي مرت بها المنامة. هو كتابٌ يأخذ القارئ في رحلةٍ قد تكون شاقّة، لكنها ستكونُ ثرية وشائقة. ثريةً ومزدوجةً، يتداخل فيها التسامح السمح والسخيّ، إنها ذاكرة المنامة؛ إنها ذاكرة المنامة كمكان وبشر. ذاكرة التنوّع والامتزاج، بين إثنيات وجماعات، دينية ومذهبية وقومية. هي ذاكرةٌ لا تقبلُ الاختزال والتبسيط، في هوية إثنية أو دينية أو مذهبية واحدة".
لا زالت المنامة – حتى اليوم – تأخذ مكانةً كبيرةً في وجدان البحرينيين وحياتهم. وبعد الإضاءة على الجوانب الإنسانية والثقافية، بين مَنْ يعيشون في المنامة، تأتي الجوانب التجارية والمهنية، والتي حملت تأثيراً مهماً في التواصل والتعامل، بين الأطياف والمكوّنات المختلفة؛ ومن حسن حظي أنني تعرفت عليها عن قرب، عندما كنت أرافق والدي إلى سوق المنامة، وهو الذي عمل في محله لبيع الأقمشة، لقرابة 40 عاماً هناك؛ وأن المحيط المهني والإنساني – الذي عشنا فيه وسط السوق – كان يميل إلى الاحـترام والتلاقي، إضافة إلى أجواء السوق النشطة والحيوية؛ فكانت التجارة رائجة وقوية، وهي التي كانت في السنوات والمرحلة الأولى من مطلع الألفية، وما قبلها أيضاً. وعند الحديث عن السوق والمنامة وحضور البحرينيين فيها، كانت هنالك أجواءٌ من الجدير التنوير عليها، وهي من ملامح التمدّن الراقية، التي يعكسها أصحاب المحلات المختلفة، من التجار البحرينيين والعاملين معهم؛ من خلال الإرتباط والجدية بالتجارة والعمل، وأيضاً في الصورة والشخصية العامة، أي في اللباس والزي والهيئة، تلك التي تنتمي إلى القيم الحديثة والعصرية، البعيدة عن الصورة التقليدية.
مفهوم التعايش والتسامح، من المفاهيم التي عكستها العاصمة البحرينية المنامة فعلاً، فالتعددية والإختلاف، كانت علامةً فارقةً في ثقافة البحرينيين وهويتهم؛ من خلال وجود هذه الإنتماءات الدينية والمذهبية فيما بينهم. ومن الشخصيات التي ظهرت في هذا الوثائقي، أحد تجار سوق الذهب في المنامة، وإسمه: «بـراديـب لكشمنداس»، وهـو يتحدث عن خصوصية المنامة في قيم التعايش والإحترام الإنساني – باللهجة البحرينية البسيطة – ولكنها تحمل الكثير من الأهمية والدلالة والمعنى؛ والتي نقرأها عبر هذه الكلمات التالية: "خاصة المنامة تعرف شنو ؟ مافي فرق بين الهندي ولا الهندوس ولا المسلمين ولا (كرستان) ولا اليهود؛ وأحسن شي – مو على الكاميرا أقولك يعني – لكن مال البحرين، تعرف أحسن شيء في البحريني: «يحسب الآوادم آوادم».. ما يحسب..؟! لا: Body same same، This is the best thing about Manama or Bahrain.
وبعد هذه الكلمات الواضحة، والتي نفتخرٍ بها في ثقافتنا البحرينية، كرصيدٍ إنساني وحضاريّ، لمجتمعنا وبلدنا البحرين. وإن هذه القيم الحسنة والراقية، قد أعادت لي شريط الذكريات، لأحد المواقف التي عشتها ورأيتها في سوق المنامة، وهي تعودُ لفترة زمنية تقترب من الـ17 عاماً؛ وهي صورةٌ أحد أصحاب المحلات القريبة منا، وهو يسير برفقة رجل بحريني – قبل أذان الظهر تحديدا – والذي كانَ يوصله إلى المسجد القريب، في كل يوم تقريباً. هل هنالك ما هو غريبٌ في هذا المشهد ؟ بالتأكيد لا؛ ولكن الإستثناء الحقيقي يكمن في الإنسانية، وهو أن هذا الرجل البحريني – الكبير في العمر – كان رجلاً ضريراً وبسيطاً جداً؛ وأن صاحب المحل، الذي ينتمي ظاهرياً، لدين ومعتقد يختلف عن معتقد الرجل الذي يوصله، والذيَ كان يسير في المقدّمة معه، ممسكاً بيده، يمشي برفقته بتلك الخطوات البطيئة. وعلى ما يبدو – أن هذا الرجل البحريني – هو من أهل المنامة، وأنه يعيش بالقرب من السوق، أو ربما كان هنالك أحدٌ يوصله إلى المحل، والذي كان هو محطته، التي ارتبطت بهذا الإنسان؛ الذي يأخذ بيديه، من أجل إيصاله نحو وجهته، في هذا الوقت من النهار.
إن هذا المشهد من سنوات النشأة، والذي كنت أراه في سوق المنامة، قد منحنا الكثير من المعاني والقيم؛ وقد قرأت سابقاً كلمة "الإخاء البشري" للكاتب والمثقف التنويري سلامة موسى، الذي نفتخر بنهجه وفكره؛ ولكنني رأيتها على الحياة الحقيقية، في هذه الصورة الإنسانية.
بين الوثائقي والكتاب، هنالك الكثير من الفصول والمراحل، التي لا نستطيع أن نوجزها في مقالةٍ واحدة، لأنها تستحقُ الكثير

من وقفات التقدير والقراءة. وفي ختام هذا الفصل، لا يمكنني عند محاولة التعريف بمكانة المنامة وسيرتها، سوى الإضاءة على التعريف العام والشامل، والـذي صاغته الأستاذة أمـاني الطواش لهذا الكتاب؛ في التنوير على المراحل التي شهدتها المنامة، وهي تنمو وتتشكّل وتنهض، يوماً بعد آخر، والتي سنقرأها من خلال الكلمات التالية: "لا أحد ينام في المنامة، ليس كتاباً عن تاريخ تكوّن المدينة فحسب، ولا عن تاريخ وأفكار سكان المدينة وتوجهاتهم وأمزجتهم؛ هو ليس كتاباً عن جغرافيا المدينة، كمكان أو تخطيط، ولا عن خصوصية المدينة الاستّعمارية، ولا عن المدينة ما بعد الإستقلال. كتابٌ لا أحد ينام في المنامة، لا يتناول فقط حياة المدينة وهي تتشكّل في تفاعل معقد، بين الإنسان وحاجاته، والبيئة الماديةً وأشيائها ومعطياتها، ولا هو عن أخلاقيات التعايش وفن العيش مع الغرباء في مدينة معولمة؛ بل هو كتابٌ عن كل ذالك، مجتمعاً في توليفة خاصة، وبمقاربة متعددة المداخل، وعصيةٍ على التصنيف".

***

أما الفيلم الثاني الذي قدّمته الأستاذة أمـاني الطواش، فقد تناول كتاب "تاريخ الأشياء"، والذي عمل من جديد، على البحث والمقاربة، لمحتويات الأرشيف المتوفرة، من صور وتسجيلات ووثائق؛ للمراحل والأماكن الحيوّية في تاريخ البحرين، تلك التي ساهمت فعلاً في النهوض والتمدُّن بالمجتمع البحريني؛ من خلال إنشاء المستشفيات والمدارس والمكتبات، وأيضاً تشييد الجسور والشوارع الحديثة؛ التي كانت عنواناً مهماً وحقيقياً، للتحديث والتقدّم بهذا المجتمع نحو الأفضل.

إن المنجزات الثقافية الهادفة، تصبح أكثر جمالاً وجـودةً عندما ترتبط بمفهوم التكامل والتعاون؛ ذالك الذي يعمل على التنوير بالمعارف المهمة، التي ترتقي حقاً بالحياة والثقافة والمجتمعات. وهـذه الإشـارة، ستقودني للحديث عن المقدّمة التي تناولها الفيلم؛ من خلال الإضاءة على المؤرخ الفرنسي «فرناند بروديل» وبحوثه التاريخية، حول التاريخ وطبقاته، والتي يصنفها عبر ثلاث طبقات، وهي التالية: الـزمـن الجـغـرافي والجيولوجي، الزمن الجماعي، والزمن الفردي أو تاريخ الأحداث. ربما الكثير منا، لم يسمع بإسم «بروديل» مسبقاً، ونحن هنا – من خلال هذا التعريف – نقترب من مفهوم التكامل في هذا المجال، فكرياً وثقافياً. وهنا يكون التقدير والمجهود الكبير، إلى الكاتب والباحث د. نادر كاظم، في متابعته للتاريخ وكتبه ومؤلفاته؛ التي كانت خير معين لصياغة كتاب "تاريخ الأشياء".. وأيضاً لما يحمله تاريخنا البحريني، من الثراء والأهمية، في مراحل التطوير والتحديث وبناء الدولة.

لم يأتي "زمن الأشياء" أو "تاريخ الأشياء" من الفراغ، بل كان عنواناً مكملاً لسيرة البشر والمجتمعات، في تاريخ الدول والمجتمعات الحديثة. وعندما نتحدث عن مشاريع التحديث في بلدنا البحرين، فإننا نعود لمرحلة لا تزيد كثيراً عن الـ100 عام؛ ونحن نتابعُ بدايات النشوء والتأسيس، للسلطة والمؤسسات الحكومية، وما رافقتها من منجزات في الحياة المدنية؛ تكوّنت تدريجياً في الحياة البحرينية، كبداية لتكوين المراحل الأولى من تاريخها الحديث، الذي لا زال مترابطاً ومتصلاً حتى يومنا هذا.

بعد طبقات «بروديل» الثلاث، يأتي كتاب د. نادر كاظم، ليضيف الطبقة الرابعة إليها، من خلال كتابه "تاريخ الأشياء"؛ والذي كان هو الجزء الأكثر أهمية، من أجل أن نتعرف على «ملاحم» البناء والنهوض في تاريخ البحرين الحديث. وإن الجهود الذي بذلتها الأجيال الأولى، في المراحل والأزمنة الصعبة – عبر العمل والتطوير والنهضة – جديرةٌ بنا حقاً أن نتوقف عندها؛ قراءةً وبحثاً وتطويراً، تقديراً لمنجزات الحداثة التي نعيشها اليوم؛ تلك التي تأمل منا دائماً، أي من البحرينيين، الرعاية والنهوض بها نحو المستقبل.

إن بداية "تاريخ الأشياء" في البحرين، لم يكن بتلك السهولة أبداً، وعندما نتكلم عن بدايات المنجزات الحديثة تقريباً – تلك المرتبطة بالحياة العامة والناس – سنتحدث عن شارع الحكومة في المنامة. ولأن الخطوات الأولى، تكون دائماً هي الأصعب والأكثر رسوخاً في الذاكرة؛ فمن المهم حقاً، أن نتعرف على سيرة هذا الشارع الرئيسي في البحرين، والذي يُضيئ عليه د. نادر كاظم، من خلال الكلمات التالية: "في تاريخ البحرين الحديث، يعتبر شارع الحكومة أو الشارع البحري أو الطريق البحري، هو أول شارع حديث في تاريخ البحرين؛ واستغرق إنشاءه – أو على الأقل، استغرق إنشاء المرحلة الأولى منه – حوالي 3 أو 4 سنوات، يعني بدأ من 1924 وافتتح في سبتمبر 1927. هذا الشارع، بقي على مدى 50 عاماً، شارعاً حيوياً؛ وأنا أسميه في الحقيقة، تاج ودُرّة الشوارع الحديثة في تاريخ البحرين، كان أجمل شارع في تاريخ البحرين، ولديه إطلالة على البحر – أعطته تميّزاً وجاذبيةً وخصوصية – لم تكن لأي شارع آخر في البحرين. هذا الشارع، بالرغم أنـه تحـوّل إلى شارع داخلي، بعد إنشاء شارع الملك فيصل في منتصف السبعينات؛ إلا أنه ما زال شارعاً حيوياً، وشريان مهمّ في قلب المنامة، ومن الصعب الحديث عن تاريخ المنامة الحديث، والواجهة الشمالية للمنامة؛ من دون الحديث والمرور على شارع الحكومة".

***

الكتابة في التاريخ، بقدر ما تحمل من صعوبة ومسؤولية، تقع أمام المشتغل في هذا المجال، البحثي والاكاديمي المهمّ؛ ولكنها تترك أبعاداً مخلصةً للتاريخ، في الحاضر والمستقبل. هذه الأبعاد، التي لا تخلو أحياناً من مراحل التعب أو الغربة، وهي طريقٌ شائكٌ منذ بدايته؛ ولكنها تجعل من المعنى حاضراً فينا، أي بين ذواتنا ومنجزاتنا.

الفنانة أمـاني الطواش، لا يمكنني أن أكتب لها أكثر من كلمات الشكر والإمتنان، وهي التي جعلت من كتابيّ: «لا أحد ينام في المنامة» و«تاريخ الأشياء»، قريبين جداً من وجداننا وذاكرتنا. وإن هذه التجربة الرائعة، في إعداد وصناعة الفيلم الوثائقي؛ تستحقُّ أن تكون محل تقدير واعتزاز، لدى القائمين على الثقافة والإعلام، في بلدنا العزيز البحرين.

رفعت العرعير.. كيف ينجو المرء بطوق الحكاية؟

بتول حميد

بقلب شاعرٍ جسور.. خرج ابن غزة «رفعت العرعير» من حَي «الشجاعية» ليُنال ماجستير الأدب الإنجليزي من «لندن» والدكتوراة من «ماليزيا»، ليعود وفي العطاء لتدريس الأدب في الجامعة الإسلامية بغزة.

يقول رفيقه المُقرب «عاصم النبيه»: «كان يمشي أكثر من 25 ألف خطوة في اليوم، ليجمع قصص الغزاويين ويسرد معاناتهم». كان رفعت يجول بين الخلق لينصت بقلبه لأهل سجن محاصر أبى أهله أن يرضخوا للخنوع، ليحوّل النفحة البشرية الحية من رقم عابر إلى حكاية خالدة وإنْ نالت منها شظية أو رصاصة، الحكايات لا تموت، ولا تخضع تحت قوانين الاحتلال وحواجزه الصارمة.

بعد استشهاد «رفعت» توالت الشهادات، عشرات الأشخاص صرحوا بمساعدة ابن حي الشجاعية لهم، لتحويل قصصهم وأفكارهم وأحلامهم وهواجسهم إلى حكايات. كمرشد ومربي لأجيال كاملة، كأكاديمي يحمل بين نبضاته درس واحد: «كيف يمكن أن ينجو المرء من الغرق بطوق حكاية»؟

في قصيدته الأخـيرة، يلوح «رفعت›› للجميع بالوصية ذاتها:

إذا كان لا بدّ أن أموت
فلا بد أن تعيش أنت
لتروي حكايتي
لتبيع أشيائي
وتشتري قطعة قماش
وخيوطاً
(فلتكن بيضاء وبذيل طويل)
كي يُبصر طفلٌ في مكان ما من غزّة
وهو يحدّق في السماء
منتظراً أباه الذي رحل فجأة
دون أن يودّع أحداً
ولا حتى لحمه
أو ذاته
يبصر الطائرة الورقية
طائرتي الورقية التي صنعتَها أنت
تحلّق في الأعالي
ويظنّ للحظة أن هناك ملاكاً
يعيد الحب
إذا كان لا بد أن أموت
فليأتِ موتي بالأمل
فليصبح حكاية»..

يستعيد «رفـعـت» روحـه بوصايا الحكايات، يؤسس حملة «نحن لسنا أرقاماً» مُتنبئًا بمصيره، ليلقن الجميع درساً في كيفية تكفين إنسان في حكاية تحفظ إيمانه، بلاغة استشعار الجمال والسر الإلهي من رقم جاف في إحصائية عابرة مضرجة بالدم.

كـان مـوت «رفـعـت» وتأبينه بنسق إلـكـتروني، جنازة عارمة سار فيها الآلاف بحكاياتهم، إذ أن قصيدته تُرجمت لعدة لغات خلال ساعات، وشاركها شعراء من جميع أرجاء العالم.

في قصيدته يُقايض «رفعت» ثمن أشيائه ومُمتلكاته وكل حصاد العمر –الذي يُدرك أن الصاروخ قـادم لتدميره– لتحويله لركام، يرجو أحباؤه أن يشتروا بذلك طائرة ورقية بيضاء، إذا أبصرها طفلاً من غزة، خالها ملاكًا قادماً لإنقاذه بالحبّ.

يبتكر «رفعت» من حكايته صورة مجاز مُطمئن لطفل يبكي تحت القصف، لا يلحظه العالم والقادة والـدول، وتتجاهل نشرات الأخبار نوبات نشيجه ورجفة أطرافه، لكن الشعر ينتبه له ويحفظه.

التقدمي

التقدمي العدد 194 ـ يناير 2024 السنة 22 SDPA 499

رئيس التحرير: د.حسن مدن ـ مدير التحرير : فاضل الحليبي ـ سكرتير التحرير: عيسى الدرازي

صورة

فاطمة محسن

(1)

أطلُّ على الموت
ثم يطلُّ علي
نسير على وجل حيث كل يراقب صاحبه
و يقول انتبه جاء ذاك الرصاص
فأخفض رأسي وأغمز للموت
ثم أصلي فيحرسني الموت
نشابك أيدينا ونسير
رصيف الحياة البعيد هناك يطلُّ علينا
و يمسك في يده زهرة من حريرْ
ويهمس لي الموت
ياصاحبي قد سئمت وجودي هنا
سئمت وجودي المرير
سئمت انصياع الرصاص لهذا الحقير

(2)

وأخفي عن الموت بعض الحقائق
كأن لا أقول بأنْ طفلةُ الحي ماتت
لأن زنابق أنفاسها سرقت
وأن قلائد ميلادها فقدت
وأن الصغيرة قد صفعت
و أعلم كم أنه سوف يحزن مثلي
يقول الإله رحيم
وأني أسل الحياة كما قد أتانيَ من أمر
ربي بشكل رحيم
ولكنني أجهل اليومْ
لمَ الموت صار قبيحا؟
وصار لزاما عليَّ بـأن أسحق الروح
سحقاً
وأن أتلون مليون لون
وأسرق لعبة تلك الصغيرة منها
وأبكي على قبرها وأنوح

(3)

هو الموت يسألني عن طريق طويل
أشير إليه
فيركض نحو المسير الطويل
ويرقص في نشوة ويقول
هنا قد أموت مع الميتين
وأنعم جداً بحزني الدفين
فدعني لأسلم قلبي لهذا النداء
وأبقى بعيدا عن السفهاء

المواد التي تحمل أسماء كتابها لا تعبر بالضرورة عن رأي المنبر التقدمي
ص. ب: 21461 ت: 17780007 Altaqadomi.bh@gmail.com